The Mahatmas and Their Chelas in India

المهاتما ومريديهم في الهند

إعداد وتحرير

دانيال إتش. كالدويل[1]

ترجمة:

جهاد الياس الخوري

[1] Daniel H. Caldwell.

توطئة

ساهمت هيلينا بيتروفنا بلافاتسكي (1831-1891) - وهي باحثة في العلوم الباطنية (العلوم الغيبية) ومؤسِّسة مشاركة لـ "الجمعية الثيوصوفية"، روسية المولد - في تعزيز المعرفة الغربية بالأديان، والفلسفات، والأساطير الشرقية، والقديمة. وتُعد أعمالها الرئيسية مثل: "إيزيس مكشوفة النقاب"، و"العقيدة السرية" و"مفتاح الثيوصوفيا" و"صوت الصمت" من كلاسيكيات الأدب الباطني والثيوصوفي.

لقد أظهرت "ه. ب. ب"[2] (كما كانت تُلقَّب) قدراتٍ خارقةً للطبيعة ومذهلة، وادَّعت أنها على تواصل شخصي مع نخبة من الحكماء و"المهاتما" و"المعلمين الروحيين" الذين يعيشون في التبت ولاداخ والهند وسريلانكا وأماكن ثانية. وفي الصفحات الأولى من كتابها الأول "إيزيس مكشوفة النقاب" كتبته عام (1877)، خاطبت السيدة بلافاتسكي قراءها قائلةً:

"عندما سافرنا لأول مرة عبر الشرق قبل سنوات... التقينا برجالٍ تحلَّوا بقوى غامضة ومعرفةٍ عميقة، لدرجة أننا نستطيع بحق أن نطلق عليهم لقب "حكماء الشرق"؛ وقد أصغينا بقلوبٍ منفتحةٍ ومستعدةٍ إلى ما قدموه لنا من تعاليم" (المجلد الأول، ص 6).

---

[2] **H.P.B.**

بين دفتي هذا الكتاب، سيجد القارئ رواياتٍ وشهاداتٍ مفصلةً لسبعةٍ من الأعضاء الهنود في "الجمعية الثيوصوفية" في بداياتها، ممن التقوا بـ "المعلمين الحكماء" معلمي بلافاتسكي.

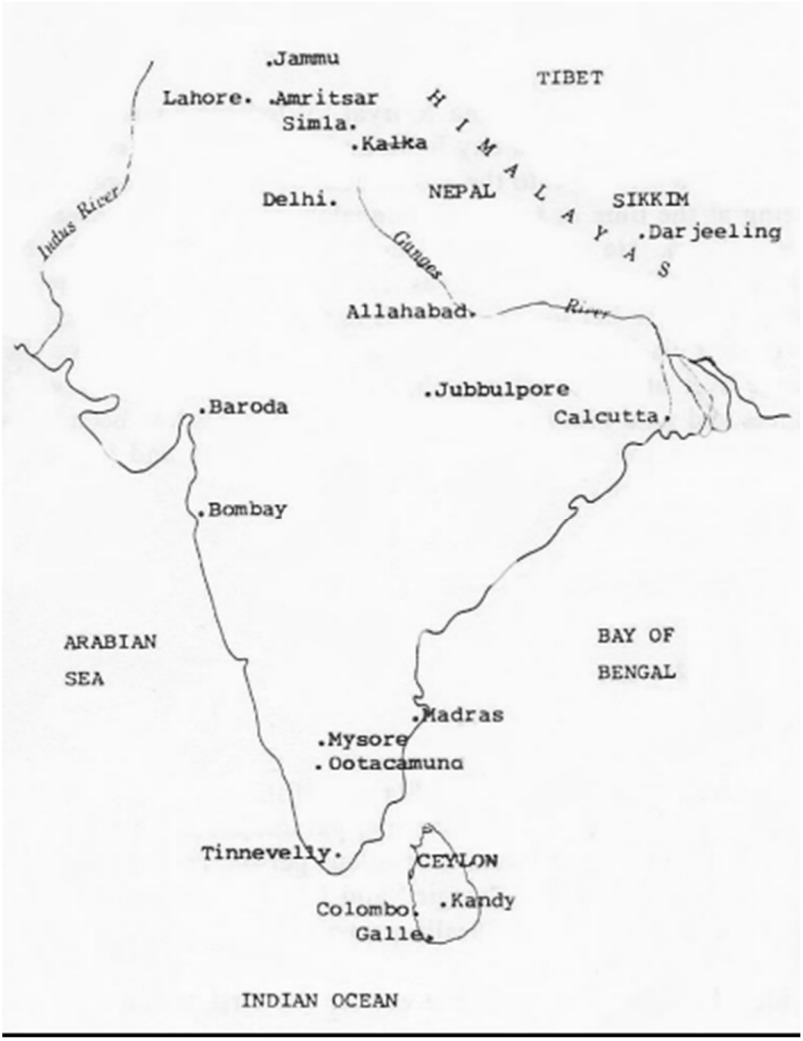

الهند في 1880

مقدمة

كانت هيلينا بيتروفنا بلافاتسكي (1831-1891) أول شخص في العصر الحديث يدّعي التواصل مع "حكماء" أو "مهاتما" شرقيين معينين (مثل موريا، وكوت هومي، وجوال خول، وهيلاريون، وغيرهم)[3]. وفي الصفحات الاستهلالية لكتابها الأول الصادر عام 1877 "إيزيس مكشوفة النقاب" خاطبت قراءها قائلة:

"عندما سافرنا لأول مرة -قبل سنوات- عبر الشرق... التقينا برجالٍ تحلّوا بقوى غامضة ومعرفةٍ عميقة، لدرجة أننا نستطيع بحق أن نطلق عليهم لقب "حكماء الشرق". وقد أصغينا باهتمامٍ واستعدادٍ بالغين إلى تعاليمهم... إن العمل الذي نضعه الآن بين يدي القراء هو ثمرةُ معرفةٍ وثيقةٍ إلى حدٍ ما بهؤلاء العارفين الشرقيين، ونتاجٌ لدراسة علومهم".

المجلد الأول، الصفحتان 5 و6.

بين دفتي هذا الكتاب، سيجد القارئ الروايات والشهادات المفصلة التي قدمها سبعة أعضاء هنود من أوائل أعضاء "الجمعية الثيوصوفية" ممن التقوا بـ "المعلمين الحكماء" معلمي بلافاتسكي[4].

---

[3] Morya, Koot Hoomi, Djual Khool, Hilarion.

[4] نلاحظ أن هذين المقطعين مكررين مرتين. المترجم.

جرت صياغة هذه الروايات والشهادات وتجميعها ومطابقتها استناداً إلى مصادر أصلية أولية متنوعة، غير أن بعض المواد حُذفت دون إشارة صريحة إلى ذلك. كما خضع النص لتعديلات طفيفة شملت إضافة بضع كلمات وعبارات توضيحية إلى النص الأصلي من حين لآخر لجعل القصص عموماً أسهل قراءةً وفهماً. ولم تُوضع هذه الإضافات بين قوسين.

للمزيد من المعلومات حول مدام بلافاتسكي والمهاتما، يرجى الرجوع إلى المصدرين التاليين:

1. العالم الباطني للسيدة بلافاتسكي. جمعه دانيال هـ. كالدويل. دار كويست بوكس للنشر الثيوصوفي، ويتون، إلينوي، الولايات المتحدة الأمريكية، 2001؛ و....

2. الملحق 4 (الصفحات 105-127) بعنوان "السيدة بلافاتسكي والمهاتما".

هذا الكتاب مُهدى إلى ذكرى دامودار ك. مافالانكار، الذي تظهر صورته على الغلاف الأمامي للكتاب؛ وتَرِدُ تفاصيل علاقته بالأمر بكلماته هو في الفصل الأول. في أبريل 1890، كتبت السيدة بلافاتسكي رسالة مفتوحة إلى الأعضاء الهنود في الجمعية الثيوصوفية، أطلقت فيها هذا التصريح الاستشرافي: "إن دامودار... يمتلك الآن فرصةً ليصبح يوماً ما مهاتما'". (المؤلفات الكاملة لـ "هيلينا بتروفنا بلافاتسكي"، المجلد الثاني عشر، ص 159).

Daniel H. Caldwell دانيال إتش. كالدويل.

الفصل الأول

وجود مهاتما الهيمالايا

بقلم دامودار ك. مافالانكار[5]

إن الانتقادات الموجهة إلى كتاب السيد "سينيت"[6] "العالم الغيبي"[7] تفرض عليّ واجباً، ألا وهو الشهادة -استناداً إلى تجربتي ومعرفتي الشخصية- بأن أولئك الذين نطلق عليهم اسم "إخوتنا من القسم الأول" (والمعروفين أيضاً باسم "المعلمين" أو "المهاتما") -والذي يُعد "كوت هومي لال سينغ"[8] واحداً منهم، ويمتلكون ما يُسمى بالقوى "الإعجازية"- هم كائنات حقيقية وحية.

بالنسبة لي، الأمر ليس مجرد اعتقاد، بل هو يقين ومعرفة؛ فقد رأيتُ -على الأقل- نحو ستة منهم في مناسبات شتى، وفي وضح النهار وفي أماكن مفتوحة، وتحدثتُ إليهم؛ ولم يقتصر ذلك على الفترة التي كانت فيها السيدة "بلافاتسكي" في بومباي، بل شمل أيضاً الأوقات التي كانت فيها بعيدة عني

---

[5] Damodar K. Mavalankar. صورة دامودار في الصفحة الأولى. المترجم.

[6] Sinnett.

[7] Occult World.

[8] Koot Hoomi Lal Singh.

بينما كنتُ أنا هنا. كما رأيتهم في أوقات ثانية أثناء سفري، واصطُحبتُ إلى مساكن بعضهم، وكان ذلك في إحدى المرات برفقة العقيد "أولكوت" والسيدة "بلافاتسكي". إنني أعرف "كوت هومي لال سينغ" معرفةً شخصية، وقد رأيته وتحدثتُ إليه في الأوقات التي كانت فيها السيدة "بلافاتسكي" هنا، وكذلك حين كانت بعيدة.

لقد كان لدي يقينٌ راسخ بوجود "المهاتما" (الحكماء العظام) في جبال الهيمالايا قبل وقت طويل من سماعي باسم "الجمعية الثيوصوفية"؛ بل حتى قبل تأسيسها في أمريكا عام 1875. ففي طفولتي، ألمّ بي مرضٌ عضالٌ خطيرٌ جداً لدرجة أن الأطباء فقدوا الأمل في نجاتي. وبينما كان أقاربي يترقبون وفاتي في كل لحظة، حظيتُ برؤيةٍ تركت في نفسي أثراً عميقاً لا يُمحى؛ إذ رأيتُ شخصيةً معينةً -اعتقدتُ حينها أنها "ديفا"[9]، أي كائن إلهي- قدمت لي دواءً فريداً، والمثير للدهشة أنني بدأتُ أتماثل للشفاء منذ تلك اللحظة. وبعد مرور بضع سنوات، وبينما كنتُ منشغلاً يوماً ما بالتأمل، رأيتُ الشخصية ذاتها وعرفتُ أنها مُنقذي؛ فقد أنقذني ذلك الكائن مرةً ثانية من براثن الموت.

بعد مرور بضع سنوات على تلك المناسبة الأخيرة، وصل مؤسسو "الجمعية الثيوصوفية" إلى الهند، وانضممتُ أنا إلى الجمعية في غضون بضعة أشهر. ومنذ ذلك الحين، شهدتُ

[9] Deva.

ظواهر عديدة، سواء في حضور مدام بلافاتسكي أو في غيابها، وسواء كنتُ بصحبة آخرين أو بمفردي. وقد نُشرت العديد من هذه الروايات في مجلة الثيوصوفي[10] باسمي من حين لآخر، غير أن هناك وقائع ثانية لم تُنشر، كنتُ قد كتبتُ عنها في مراسلات خاصة مع أصدقاء ثيوصوفيين في لندن ونيويورك.

قد أضيف هنا أنه بعد فترة من انضمامي إلى الجمعية، رأيتُ عدداً من "المهاتما" -سواء في هيئتهم النورانية أو في أجسادهم المادية- وكان من بينهم المهاتما "كوت هومي"، المعروف بكونه مُراسِل السيد "سينيت" ومؤلف الرسائل التي نُشرت في كتاب "العالم الغيبي".

وحين رأيته، أدركتُ على الفور أنه تلك القوة المهيبة التي كنت قد رأيتها ثلاث مرات في شبابي؛ ذاك الذي أنقذ حياتي مرتين وتجلى لي مرةً أثناء تأملي. لقد تلقيتُ منه -ومن غيره- رسائل عديدة؛ وتلك التي كُتبت بقلمه -سواء تسلمتها منه مباشرةً أو عبر وسيط آخر- تحمل جميعها الخط ذاته. أما في الآونة الأخيرة، ونظراً لأنهم آثروا توجيه تعليماتهم لي شفهياً، فقد أصبحت أتلقى عدداً قليلاً جداً من المراسلات المكتوبة.

في إحدى قرى سيلان في مايو 1880، كنا أنا وهـ. ب. ب. والعقيد أولكوت الأشخاص الثلاثة الوحيدين الذين مكثنا ليلة واحدة، إذ ذهب باقي أفراد مجموعتنا إلى مكان آخر. انشغلنا

---

[10] **The Theosophist.**

جميعًا هناك بتلقين الأعضاء الجدد وتأسيس فرع لجمعيتنا حتى حوالي منتصف الليل. ذهبت هـ. ب. ب[11]. والعقيد أولكوت إلى النوم حوالي الساعة الواحدة صباحاً.

بما أننا كنا مضطرين للبقاء في القرية ليلة واحدة فقط، فقد نزلنا في دار الاستراحة التي لم تكن توفر إقامة مريحة إلا لمسافرين اثنين؛ ولذا، كان عليّ أن أنام على مقعد وثير في غرفة الطعام. وما إن أغلقتُ باب الغرفة واستلقيتُ على المقعد حتى سمعتُ طرقاً خافتاً على الباب. تكرر الطرق مرتين قبل أن أتمكن من الوصول إلى الباب؛ وحين فتحته، غمرتني فرحة عارمة لرؤية "المعلّم"! فقد أمرني بصوت هامس للغاية أن أرتدي ملابسي وأتبعه.

يقع البحر عند الباب الخلفي لبيت الاستراحة. تبعتُه كما أمرني؛ فقد قادني إلى الباب الخلفي للمكان، وسرنا نحو ثلاثة أرباع الساعة بمحاذاة الشاطئ، ثم انعطفنا باتجاه البحر.

كان الماء يحيط بنا من كل جانب، باستثناء الموضع الذي كنا نسير عليه، فقد كان جافاً تماماً!! كان هو يسير في المقدمة، وكنت أتبعه. واصلنا السير على هذا النحو لنحو سبع دقائق، حتى وصلنا إلى بقعة بدت أشبه بجزيرة صغيرة.

---

[11] هيلينا بتروفنا بلافاتسكي. المترجم.

كان فوق المبنى ضوءٌ مثلثُ الشكل. ومن بعيد، قد يظنُّ الواقفُ على شاطئ البحر أنَّه بقعةٌ منعزلةٌ تغطيها الشجيراتُ الخضراءُ بالكامل.

بعد وصولنا إلى الجزيرة، اضطررنا إلى التجول حول المكان لنحو خمس دقائق قبل أن نصل إلى واجهة المبنى المقصود. وهناك، في حديقة صغيرة أمام المبنى، وجدنا أحد "الإخوة" جالساً؛ كنت قد رأيته من قبل في "قاعة المجلس"، وهذا المكان يخصّه في الأصل. جلس "المعلم" بالقرب منه، بينما وقفتُ أنا أمامهما. بقينا هناك لمدة نصف ساعة تقريباً.

أُتيح لي الاطلاع على جزء من ذلك المكان. كم هو لطيف للغاية! وفي داخله، توجد غرفة صغيرة يبقى فيها الجسد حين تنطلق الروح لتتجول في الأرجاء. يا له من مكان ساحر ومبهج! وتفوح فيه رائحة زكية من الورود ومختلف أنواع الأزهار. أتمنى لو يُسمح لي بزيارة ذلك المكان مجدداً، إذا ما قُدِّر لي العودة إلى سيلان في وقتٍ آخر.

انقضت النصف ساعة، واقترب موعد مغادرتنا للمكان. وضع صاحب المكان -الذي لا أعرف اسمه- يده المباركة على رأسي، ثم انطلقنا أنا ومعلّمي مجدداً. عدنا إلى دار الاستراحة، وعند باب الغرفة التي كان من المفترض أن أنام فيها، اختفى هو فجأة في تلك اللحظة.

وفي سيلان أيضاً، أُخذتُ إلى مكانٍ معيّنٍ حيث يعقد "المعلمين" مجلسهم. وبعد ذلك، التقيتُ بـ "المعلم" بمفردنا

مرتين أو ثلاث مرات للغرض ذاته. يا لها من لحظاتٍ سعيدةٍ تلك التي كنا نجلس فيها معاً في منتصف الليل، نتبادل الحديث دون أن يزعجنا أحدٌ أو شيءٌ! كنا في خلوةٍ تامةٍ خلال ذلك الوقت.

اصطُحبتُ أيضاً إلى مكانين آخرين؛ أحدهما بالقرب من كولومبو، وهو منزل خاص يخص «المعلّم»، والآخر بالقرب من كاندي، وهو مكتبة. ولا يحضرني الآن سوى أربعة أماكن زرتها خلال وجودي في سيلان.

في إحدى الأمسيات، وبعد أن ارتديت ملابسي لتناول العشاء على متن الباخرة -التي كانت تقلنا عائدين إلى بومباي من سيلان- أخرجت معطفي من حقيبتي لأرتديه بعد العشاء. وكما جرت عادتي، فحصتُ جيوبه ووضعتُه على سريري. كانت مائدة العشاء تقع في الجهة المقابلة لمقصورتي مباشرةً، مما أتاح لي رؤية أي شخص يدخل إليها أو يخرج منها بسهولة، لكنني لم أرَ أحداً.

بعد أن انتهينا من العشاء، دخلتُ وارتديتُ المعطف. وبدون تفكير، وضعتُ يديّ في جيوبي كما أفعل عادةً، وإذا بي أجد ورقةً في جيبي الأيمن، بينما لم أجد شيئاً بداخله عندما فحصته لأول مرة. أخرجتُ الورقة، ولدهشتي وجدتُ رسالةً موجهةً إلى السيدة بلافاتسكي. أخذتُها إلى الضوء. كان غلافها مفتوحاً، ومكتوباً عليها باللون الأحمر: "ليقرأها دامودار". ثم قرأتُ الرسالة.

بينما كنت مستلقياً على فراشي، غارقاً في التفكير المستمر حول هذا الأمر، فاجأني وقعُ خطواتٍ داخل المقصورة التي كنت قد أقفلتُها من الداخل. التفتُّ إلى الوراء، فإذا بـ "المعلّم" يظهر مجدداً، ومعه شخصان آخران! يا لها من أمسيةٍ ممتعةٍ كانت! قضينا نحو نصف ساعةٍ نتبادل الحديث حول شتى المواضيع المتعلقة بالمعرفة والفلسفة. لقد كانت تلك أسعد لحظات حياتي! لكن ذلك لم يدم إلا في تلك المرة، فعقدتُ العزم على أن أجعل نفسي جديراً بالاستمتاع بمثل هذه اللحظات دائماً.

بعد عودتنا من رحلتنا إلى سيلان، غادرت بلافاتسكي والعقيد أولكوت بومباي في 27 أغسطس 1880 متوجهين إلى سيملا وأماكن ثانية في شمال الهند، وذلك في إطار شؤون الجمعية؛ فبقيتُ بمفردي تقريباً في المقر الرئيسي. كما أقام السيد والسيدة كولومب في المقر أيضاً. كنت أعمل وحيداً تماماً في غرف بلافاتسكي ولم يأتِ أحدٌ على الإطلاق ليقطع عليّ خلوتي.

في المساء الذي سبق عيد ميلادي (في شهر سبتمبر)، ذهبت كعادتي لتناول العشاء. وبعد العشاء، انتقلنا إلى شرفة المنزل (البنغالو) الخاص بالسيدة بلافاتسكي. انتابني فجأة شعور غريب، وذكّرني ضوء القمر الساطع برحلتي إلى ــــــــــ، حيث خضعتُ أنا والعقيد أولكوت لجلسة "مغنطة"[12].

---

[12] من مغناطيسية. المترجم.

في تلك الأثناء، سمعت السيدة كولومب خطواتٍ في غرفة "بلافاتسكي"، وصوت شخصٍ يحاول فتح الخزانة. لم أسمع أنا شيئاً من ذلك، لكنني لم أجرؤ على الدخول؛ فقد كانت "بلافاتسكي" قد أوصتني قبل مغادرتها بعدم الدخول، حتى لو سمعتُ أي ضجيج أو أصواتٍ في الداخل. وللسبب ذاته، منعتُ الزوجين كولومب من محاولة الدخول -وهو أمرٌ أرادا القيام به خشية أن يكون ثمة خطبٌ ما-، وبعد فترةٍ توقف كل شيء، وذهب الزوجان إلى فراشهما.

دخلتُ غرفة الكتابة، وفوق الطاولة، أمام الساعة مباشرةً، وجدتُ ورقةً كبيرةً مثلثة الشكل. لم يكن هناك شيءٌ من هذا القبيل حين غادرتُ الغرفة لتناول العشاء؛ إذ كنتُ -في كل مرة أدخل فيها الغرفة أو أغادرها- أنظر إلى تلك الساعة، ولو كانت الورقة موجودةً من قبل، لَحَجَبَت عني رؤية أرقام الساعة، وبالتالي لكنتُ لاحظتُ وجودها بالتأكيد.

تناولتها وفتحتها، فإذا بداخلها غطاء رأس مطويّ على شكل مثلث، من النوع الذي يرتديه اليوغيين الدراويش (فاكير)[13] وأهالي شمال الهند. وكان مكتوباً في الداخل "إلى دامودار"، تليها الأحرف الأولى من اسم "المعلّم". إنها هديّة سأحتفظ بها دائماً، وما زلت أحتفظ بها حتى الآن.

بعد ذلك، كنت أتلقى في كثير من الأحيان رسائل من المعلّم وآخرين، سواء عبر البريد أو بطريقة غامضة ما.

---

[13] Fakirs.

وفي أحد الأيام، قرابة الساعة الثانية صباحاً، وبعد أن أنهيت عملي، أوصدت باب الغرفة واستلقيت على فراشي. ولم تمضِ سوى دقيقتين أو ثلاث حتى سمعت صوتاً يناديني من غرفة بلافاتسكي. نهضت مذعوراً وتوجهت إلى الداخل، فقالت لي: "هناك أشخاص يرغبون في رؤيتك"، ثم أضافت بعد لحظة: "اخرج الآن، ولا تنظر إليّ". وقبل أن أتمكن من الالتفات، رأيتها تتلاشى تدريجياً في مكانها، ومن تلك البقعة ذاتها، انبثق طيف "المعلّم".

حين التفتُّ عائداً، رأيتُ شخصين آخرين يرتديان ما علمتُ لاحقاً أنه زيٌّ تبتي. بقي أحدهما مع "المعلم" في غرفة "بلافاتسكي"، أما الآخر فقد وجدته جالساً على سريري حين خرجتُ. حيّيتُه وسألتُه إن كان لديه أيُّ أوامر، فأجابني: "إن وُجدت أيُّ أوامر، فستُبلَّغُ بها دون الحاجة إلى السؤال عنها".

ثم طلب مني أن أبقى ساكناً لبعض الوقت، وأخذ ينظر إليّ بتركيز شديد. انتابني شعورٌ ممتع للغاية، وكأنني أخرج من جسدي.

لا أستطيع الآن تحديد مقدار الوقت الذي انقضى بين ذلك وبين ما سأرويه الآن. لكنني أدركت أنني في مكانٍ غريب؛ فقد كنت في الطرف العلوي من كشمير، عند سفح جبال الهيمالايا. رأيتُ أنني نُقِلتُ إلى مكانٍ لا يوجد فيه سوى منزلين، يقع أحدهما مقابل الآخر تماماً، دون أيّ أثرٍ آخر لوجود بشر. ومن أحد هذه الأماكن خرج "كوت هومي"؛ فقد كان ذلك منزله. وفي

مقابل موقعه، توقف "المعلم موريا". فأمرني الأخ "كوت هومي" بأن أتبعه[14].

بعد قطع مسافة قصيرة تبلغ نحو نصف ميل، وصلنا إلى ممر طبيعي تحت الأرض يقع أسفل جبال الهيمالايا. المسار بالغ الخطورة؛ إذ يوجد ممر طبيعي فوق نهر السند الذي يتدفق تحته بكل عنفوانه. لا يتسع هذا الممر إلا لشخص واحد في المرة الواحدة، وأي خطوة خاطئة تعني نهاية المسافر المحتومة.

إلى جانب هذا الجسر، توجد عدة وديان يجب عبورها. بعد السير لمسافة طويلة عبر هذا الممر الجوفي، وصلنا إلى سهل مفتوح في لِـ... ك. يوجد هناك بناء ضخم يعود تاريخه إلى آلاف السنين. أمامه نصب تذكاري مصري ضخم. يستند المبنى على 7 أعمدة كبيرة على شكل أهرامات. تضم بوابة المدخل قوساً مثلثياً كبيراً. وفي الداخل، توجد شقق متنوعة. المبنى ضخم للغاية، لدرجة أنني أعتقد أنه يتسع بسهولة لعشرين ألف شخص. وقد أُتيحت لي فرصة الاطلاع على بعض هذه الوحدات.

---

[14] [للمزيد حول منازل المهاتما كوت هومي والمهاتما موريا، انظر الملحق 2 (الصفحات 91-96) في هذا الكتاب]. دانيال إتش. كالدويل.

هذا هو المركز الرئيسي الذي يتحتم على كل من يثبت استحقاقه من أعضاء قسمنا للانضمام إلى الأسرار أن يقصده لإتمام مراسمه النهائية، وأن يبقى فيه المدة المطلوبة.

صعدتُ برفقة مُعلّمي (الغورو)[15] إلى القاعة الكبرى. إنّ عظمة المكان وهدوءه كفيلان ببثّ الرهبة في نفس أيّ شخص. أمّا جمال المذبح -الذي يتوسّط القاعة، حيث يتعيّن على كلّ مرشّحٍ أداءُ عهوده لحظة انضمامه- فهو كفيلٌ بأن يبهر أكثر الأبصار حدّةً وتألّقاً. كما أنّ روعة عرش "الرئيس" لا تضاهيها روعةٌ ثانية؛ فكلّ شيءٍ فيها قائمٌ على مبادئ هندسيّة، وتزخر برموزٍ لا تُكشف دلالاتُها إلا لمن نالوا شرف الانضمام. غير أنّني لا أستطيع الإفصاح عن المزيد الآن؛ فقد أصبحتُ مُلزماً بواجب الكتمان، وهو عهدٌ أخذَه منّي "كوت هومي" هناك.

بينما كنت واقفاً هناك، لا أعرف ماذا حدث، وجدت نفسي فجأة في سريري. كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحاً تقريباً. ما الذي رأيته؟ هل كان حلماً أم حقيقة؟ وإذا كان حقيقة، فكيف استطعت قطع جبال الهيمالايا بأكملها -حتى وإن كان ذلك بجسدي النوراني- في مثل هذا الوقت القصير؟

بينما كنت جالساً في صمتٍ، غارقاً في حيرةٍ أمام هذه الأفكار، سقطت رسالةٌ فجأةً على أنفي. فتحتُها لأكتشف أن الأمر لم يكن حلماً؛ بل إنني نُقلت -بطريقةٍ غامضة- بجسدي التوراني إلى المكان الفعلي للـ "المساررة"، حيث سأكون حاضرا بجسدي

---

[15] Guru.

المادي للمشاركة في المراسم، شريطة أن أثبت استحقاقي لهذا التكريم. أما عن حجم سعادتي في تلك اللحظة، فمن الأسهل تخيّلها على وصفها بالكلمات.

في التاسع عشر من أبريل عام 1883، في مقر الجمعية الثيوصوفية (أديار، مدراس)[16]، كنتُ أجلس أنا وناراسيمولو تشيتي[17] على مقعدٍ قريبٍ جداً من سرير السيدة بلافاتسكي، وكنا نقوم بتهويتها ونتحدث فيما بيننا، بهدف مساعدتها تدريجياً على النوم.

فجأة، انتفضت السيدة بلافاتسكي وهتفت قائلة: "إنني أشعر به". وقد شددت علينا ألا نغادر أماكننا، وألا نسمح لأي انفعال بأن يسيطر علينا، بل أن نبقى حيث نحن -دون أن نتحرك قيد أنملة في أي اتجاه- وأن نلتزم الهدوء والسكينة التامين.
وفجأة، طلبت منا أن نمد أيدينا، فأمسكت باليد اليمنى لكل واحد منا. ولم تكد تمضي دقيقتان حتى رأينا "المعلم موريا" يظهر من جهة الباب الشبكي لغرفة نوم السيدة بلافاتسكي ويقترب منها.

كانت طريقته في المشي بالغة الرفق، بحيث لم يُسمع لها وقعُ قدمٍ ولا أدنى صوت؛ كما لم تظهر عليه أي إيماءاتٍ توحي بحركته. ولم ندرك أنه اقترب منا أكثر فأكثر إلا من خلال تغير موقعه. وقف تماماً في مواجهة السيدة "بلافاتسكي"، على

---

[16] في الهند. المترجم.
[17] Narasimhulu Chetty.

مسافةٍ لا تكاد تبلغ طول ذراعٍ منا. كنا نحن في هذا الجانب من السرير، بينما كان هو في الجانب الآخر.

لقد رأيتُه مراتٍ كافيةً لأتمكّن من التعرف عليه على الفور. ثم انحنى فوق السرير. كان يرتدي معطفه الأبيض الطويل المعتاد، ويضع على رأسه تلك العمامة[18] المميّزة، بينما كان شعره الأسود الطويل ينسدل على كتفيه العريضتين، وتتدلى لحيته الطويلة؛ فبدا -كعادته- لافتاً للأنظار وذا مظهرٍ بديع.

كان يقف بالقرب من بابٍ فُتِحت مصاريعُه. ومن خلالها، سقط ضوء المصباح عليه، بينما غمرَه ضوء القمر المتسلل عبر النوافذ المفتوحة أيضاً. أما نحن، فقد كنا في الظلام - أي لم يكن هناك ضوءٌ يقع على أعيننا، إذ كنا نتخذ وضعاً يجعلنا في مواجهة النوافذ التي يأتي منها ضوء القمر- مما مكننا من الرؤية بوضوحٍ وجلاءٍ تام.

مدَّ يديه مرتين فوق رأس السيدة "ب". فمدَّت هي يدها، فمرَّت عبر يده؛ وهي حقيقةٌ تُثبت أن ما رأيناه كان "مايافي روبا"[19] (أي جسداً تجسُّدياً/طيفياً)، رغم أنه كان نابضاً بالحياة وواضحاً لدرجةٍ توحي للناظر بأنه جسدٌ ماديٌّ فيزيائيٌّ حقيقيّ. أخذتْ الرسالةَ من يديه على الفور. انكمشتِ الرسالةُ -إن جاز التعبير- وأصدرتْ صوتاً. ثم لوّح بيديه نحونا، وخطا بضع

---

[18] Turban.

[19] Mayavi Rupa.

خطواتٍ -دون صوتٍ أو أثرٍ، تماماً كما كان حاله من قبل- ثم اختفى!

ثم ناولتني السيدة "ب" الرسالة، إذ كانت موجهةً إليّ. ولن أنسى أبداً تجربة تلك الليلة؛ فقد كانت واضحةً وجليةً وملموسةً للغاية.

تعرّف عليه ناراسيمولو على الفور، فقد رآه بوضوحٍ تام وعن قُرب. ويبدو أن "المعلم موريا" كان موجوداً في مدراس عام 1874، حيث رآه كلٌّ من سوبيا[20] وناراسيمولو، رغم أنهما لم يكونا على دراية بأي تفاصيل ثانية عنه. وما ترك أثراً في ذهنيهما آنذاك هو اختفاؤه المفاجئ أمام أعينهما مباشرةً. ويؤكد ناراسيمولو -بقسمٍ غليظ- أنه الشخص ذاته الذي رآه في عام 1874.

في لاهور، خلال شهر نوفمبر من عام 1883، زارني المهاتما "كوت هومي" بجسده المادي؛ إذ تكررت زيارته لثلاث ليالٍ متتالية، استغرقت كل منها نحو ثلاث ساعات. وفي إحدى المرات، خرجتُ للقائه خارج المنزل، ثم عدتُ برفقته إلى الداخل، وقدمتُ له مقعداً، ودار بيني وبين "المعلم" حوارٌ طويل. وعلاوة على ذلك، فإن الشخص الذي رأيته بشخصه في لاهور هو ذاته الذي سبق أن رأيتُه بهيئته النورانية في مقر "الجمعية الثيوصوفية"، وهو أيضاً الشخص نفسه الذي كنتُ أراه -خلال رؤاي وحالات الغيبوبة الروحية- في منزله الواقع

---

[20] Subbiah.

على بُعد آلاف الأميال؛ وهو مكانٌ تمكنتُ من الوصول إليه بـ "ذاتي[21] النورانية" بفضل مساعدته وحمايته المباشرتين.

في تلك الأوقات التي كانت فيها قدراتي الروحية لا تزال في بداياتها، كنت أراه دائماً في هيئة غائمة نوعاً ما، رغم أن ملامحه كانت واضحة تماماً ومحفورة بعمق في ذاكرتي وفي عين روحي. أما الآن، في لاهور وجامو وأماكن ثانية، فقد كان الانطباع مختلفاً تماماً؛ ففي الحالات السابقة، حين كنت أؤدي "البرانام"[22] (التحية)، كانت يداي تمران عبر هيئته، بينما في هذه المرات الأخيرة، اصطدمت يداي بملابس ملموسة وبجسدٍ صلب.

رأيتُ هنا أمامي رجلاً حياً، تتطابق ملامحه مع تلك التي طالما تأملتها في الصورة التي كانت بحوزة السيدة بلافاتسكي، وتلك التي كانت لدى السيد سينيت؛ غير أنه كان يبدو في هيئته العامة ووقاره أكثر مهابةً بكثير.

وفي جامو -التي قصدناها بعد مغادرتنا لاهور- حالفني الحظ بأن أُدعى لزيارة "أشرام"[23] (معبد أو مقام روحي) مقدس، حيث مكثتُ بضعة أيام في رفقةٍ مباركةٍ مع ثلةٍ من "المهاتما" -أولئك الذين طالما أحاط الشك بوجودهم- القادمين من جبال الهيمافات[24] (الهيمالايا)، ومعهم تلاميذهم. وهناك، لم ألتقِ

---

[21] Ego.
[22] Pranam.
[23] Ashram.
[24] Himavat.

بمعلمي الروحي (غورو-ديفا)[25] "كوت هومي"[26] فحسب، ولا بـ "موريا" -معلم العقيد أولكوت- بل التقيتُ أيضاً بآخرين من أعضاء هذه الجماعة الروحية، بمن فيهم أحدُ أسمى الشخصيات مقاماً بينهم.

المكان الذي سُمح لي بزيارته يقع في جبال الهيمالايا. لقد رأيتُه بجسدي المادي[27]، ووجدتُ أن معلمي (الـ "ماستر") هو ذاته الشخص الذي رأيتُ صورته في بدايات عهدي كمريد (تلميذ روحي). وهكذا، لم أرَ معلمي المحبوب كرجلٍ حيٍّ فحسب، بل بدا لي - مقارنةً ببعض اليوغيين النساك[28] الآخرين في تلك الجماعة المباركة - شاباً في مقتبل العمر، يتسم بفيضٍ من اللطف، ولا يترفع عن إلقاء الدعابات أو تبادل الأحاديث المرحة من حينٍ لآخر.

وهكذا، في اليوم الثاني من وصولي، وبعد وقت تناول الطعام، أُتيحت لي فرصة التحدث مع "معلّمي" لأكثر من ساعة. وحين سألني مبتسماً عن سبب نظراتي المليئة بالحيرة تجاهه، بادرتُه بالسؤال: "كيف يفسَّر يا معلّمي أن بعض أعضاء جمعيتنا قد ترسخت لديهم فكرة أنك 'رجل مسن'، بل إنهم زعموا أنهم رأوك -عبر الرؤية الاستبصارية - كرجلٍ تجاوز الستين من عمره؟".

---

[25] Gurudeva.
[26] Koot Hoomi.
[27] sthula sarira.
[28] Sadhus.

فابتسم بلطف وقال إن هذا الاعتقاد الخاطئ الأخير نشأ بسبب روايات أحد "البراهماشاري"[29] (طالب في الفلسفة الفيدانتية)، الذي التقى في العام الماضي في التبت بزعيم إحدى الطوائف - وهو "لاما"[30] مسنّ كان في ذلك الوقت رفيقاً في السفر لمعلمي، ولأن ذلك "البراهماشاري" تحدث عن هذا اللقاء حين عاد إلى الهند، فقد ظنّ بعض الناس خطأً أن ذلك "اللاما" هو معلمي نفسه[31].

أما بخصوص رؤيته عبر الاستبصار على هيئة "رجل مسن"، فقد أضاف أن هذا أمر مستحيل؛ إذ لا يمكن للاستبصار الحقيقي أن يوقع أحداً في مثل هذه التصورات الخاطئة. ثم وبخني بلطف لأنني أوليت أهمية لعمر "المعلم" (الغورو)، مشيراً إلى أن المظاهر غالباً ما تكون خادعة، إلى جانب توضيحه لنقاط ثانية[32].

---

[29] Brahmachari.

[30] Lama.

[31] المهاتما كوت هومي. المترجم.

[32] [ملاحظة: تم تجميع الفصل الأول أعلاه من عدة مقالات ورسائل كتبها دامودار ك. مافالانكار ونُشرت في كتاب دامودار ورواد الحركة الثيوصوفية، جمعها سفين إيك، أديار، مدراس، الهند، دار النشر الثيوصوفية: 1965، الصفحات 167-168، 495-497، 55-62، 307-308، و335-337] دانيال ه. كالدويل.

الفصل الثاني

رحلاتي لرؤية المهاتما

بقلم ر. كاسافا بيلاي[33]

أشعر الآن بأنه من واجبي توضيح التفاصيل المتعلقة برحلتي عام 1882، التي صعدتُ خلالها جبال الهيمالايا وعبرتُها، وكذلك بيان الغرض من تلك الرحلة.

بدايةً، عليّ أن أعود بالزمن إلى عام 1869، حين كنت في السابعة عشرة من عمري تقريباً، وكنت أتلقى تعليمي في مدرسة أنجلو- فيرناكولير[34] في "سيدابيتب"[35]. وفي الوقت ذاته، كنت أعتاد حضور العظات التي يلقيها الدعاة البروتستانت أيام الآحاد في مدارس البعثات التبشيرية في سيدابيت وسانت توماس ماونت[36]. وقد ساعد على ذلك غياب والديّ التام - ناهيك عن الطريق الميسَّر إلى الجنة، الذي يعد به المسيحيون المعاصرون - والمتمثل في "الإيمان البسيط بالمسيح، بأنه ابن الله، وأنه مات من أجلنا" - فقد أثَّر ذلك في

---

[33] R. Casava Pillai.
[34] AngloVernacular School.
[35] Sydapett.
[36] St. Thomas Mount.

عقلي وأنا في مقتبل العمر، وعقدت العزم على اعتناق المسيحية.

في ذلك الوقت تقريباً، صادف أن جاء والدي إلى مدراس. أخبرته بعزمي، فبذل قصارى جهده -لكن دون جدوى- لإقناعي بالعدول عن رأيي. افترقنا تلك الليلة والدموع في أعيننا. آويتُ إلى فراشي ضارعاً إلى الله بحرارة: "أن يفتح بصيرتي ويُريني الحقيقة".

في تلك الليلة التي لا تُنسى -ليلة الحادي والعشرين من يوليو عام 1869- راودني حلم. ولا يسعني القول إنه كان حلماً بالمعنى الدقيق، إذ لم أكن غارقاً تماماً في النوم. لقد رأيت هيئةً مهيبةً، تشبه تماماً "المهاتما موريا" العظيم (الذي رأيته لاحقاً على الجانب الآخر من جبال الهيمالايا، والذي يمكن رؤية صورته اليوم في مقر الجمعية الثيوصوفية في أديار). كان يحمل في يده كتاباً ناولني إياه؛ وحين فتحته، وجدت فيه ترجمةً إنكليزيةً لفقرةٍ من "الأوبانيشاد"[37] تقول: "برانافا (أوم) هو القوس، والآتما هو السهم، وبراهمان هو الهدف"[38].

ثم أنشد لي النص السنسكريتي التالي:

---

[37] **Upanishads.**

[38] **Pranava (Om) is the Bow ; the Atma, the Arrow ; and the Brahman, the Mark.**

بارنودهانوواروهياتبراهات[39].

وأخبرني، بأسلوب مؤثر للغاية، أن :

الحكماء الآريون قد بلغوا حالة التحرر (الموكتا)[40] من خلال ممارسة هذا النهج، لا بمجرد الإيمان بشخصٍ ما أو بإلهٍ ما.

وأضاف قائلاً: "يا بني، لا تتعجل؛ فبلوغ "الموكشا"[41] (التحرر) لا يتسنى للمرء إلا بعد خوض غمار حيواتٍ عديدة".

عندها استيقظتُ، ولم أستطع النوم طوال الليل. وكانت النتيجة أنني اضطررتُ إلى تغيير قراري بأن أعتنق المسيحية.

في صباح اليوم التالي، وبينما كنت في طريقي إلى المدرسة، أحضر أحد أصدقائي -ويدعى "تشيتي"- معه من مكتبة عمه كتيباً يضم ترجمات لـ "الأوبانيشاد" (ظناً منه، عن طريق الخطأ، أنه نسخة من كتاب "نيتي شاندريكا"[42] الذي يماثله في الحجم). وحين طلبت منه الكتاب الدراسي، وضع بين يديّ تلك النسخة المترجمة؛ وما إن فتحت الكتاب حتى وقع بصري مباشرةً على ترجمة "الأوبانيشاد" التي أشرت إليها آنفاً.

---

[39] وفقاً للباحث ديفيد ريغل، فإن الآية التي استشهد بها كاسافا بيلاي أعلاه مأخوذة من «مونداكا أوبانيشاد»، 2.2.4. اللغة السنسكريتية كما تُكتب الآن باستخدام نظام النقل الصوتي الدولي الحالي هي: برانافو دهانوه سارو هي آتما براهما تال – لاكشيما أوسيات.

[40] Muktas.

[41] Moksha.

[42] Niti Chandrika.

رجوتُ صديقي أن يعيرني الكتاب، ففعل. وقد دفعني قراءةُ هذا الكتاب وغيره من ترجمات "الأوبانيشاد" وما شابهها إلى التخلي تماماً عن فكرة اعتناق المسيحية، كما كشفت لي عن تفوق الديانة الهندوسية على سائر الأديان الثانية.

في إحدى ليالي عام 1873، رأيت في منامي "المهاتما" ذاته وهو يقدم لي كتاباً باللغة التاميلية، ثم اختفى بعد أن أخبرني بأن الكتاب من تأليف "رامالينجا باراديسي"[43]. وكان "رامالينجا باراديسي" هذا حكيماً شهيراً في جنوب الهند، كان يقيم آنذاك في "فادالور"؛ وقد ورد ذكره في مجلة الثيوصوفي عدد شهر يوليو من عام 1882.

طلبتُ الكتاب، وكنتُ أتلقى شرحاً للفلسفة التي يتضمنها من صديقٍ لي كان تلميذاً له. ومن هذا المؤلف تعلمتُ فلسفة المبادئ السبعة للإنسان ونشأة الكون، والتي عُرضت مؤخراً بشكلٍ أوضح، ومن وجهة نظر علمية غربية، في الكتاب الثيوصوفي "البوذية الباطنية"[44] للثيوصوفي أ. سينت.

بعد قراءة هذا المؤلف وأعمال السيد سينيت اللاحقة، استطعت أن أفهم نفس التسامي، بل فلسفة أكثر سرانية، وردت في "ماها نارايانا"[45]، والأوبنشاد الثانية عن "الديان

---

[43] Ramalinga Paradesi.

[44] أوضحت بلافاتسكي في كتابها العقيدة السرية أن المقصود هو – البودهية الباطنية – من كلمة "بودهي" أي الإستنارة الباطنية حسب المبادئ الثيوصوفية التي يتضمنها الكتاب. المترجم.

[45] Maha Narayana.

شوهانيك"[46] والبرالايا الشمسية[47] وعدد السلاسل الكوكبية في كل نظام شمسي.

في عام 1874، اضطررتُ إلى الذهاب إلى مدراس، وهناك - بينما كنت في منزل عمي - التقيتُ بمنجّمٍ ذائع الصيت، خبير في "نادي شاسترام"[48] ، كان بارعاً في كشف تفاصيل الماضي والحاضر والمستقبل في حياة أعمامي وآخرين. فسألتُه: "ما الذي يدور في ذهني؟ وهل سيتحقق ذلك؟ ومتى سيحدث؟".

كان محور تفكيري في ذلك الوقت هو تلك الشخصية التي ظهرت لي مرتين من قبل في أحلامي، وقدمت لي كتباً، وأسدت إليّ توجيهاتٍ معينةً حول ما إذا كنت سأبلغ يوماً المعرفة الحقيقية؛ ولم يكن أحدٌ ممن كانوا حولي على علمٍ بذلك.

فكر المنجم لبرهة، ثم قال لي: "إن موضوع تفكيرك الآن هو ما وراء جبال الهيمالايا، وفي غضون عامين بالضبط ستلتقي بواحدٍ منهم، لكن جهلك حينها سيمنعك من الاستفادة من زيارته في ذلك الوقت. لكن لا داعي لأن تشعر بالأسف حيال ذلك؛ ففي عامك الثاني والثلاثين، ستراه بشخصه، وسيشملك برعايته بدءاً من ذلك التاريخ".

في عام 1876، سنحت لي الفرصة مجدداً للذهاب إلى مدراس بسبب وقوع بعض المصائب العائلية الجسيمة. وبينما كنت في

---

[46] **Dhyan Chohanic.**
[47] **solar Pralayas.**
[48] **Nadi Shastram.**

طريقي من سيدابت إلى مدراس على متن عربة "جوتكا"[49]، كنت غارقاً في التفكير في حقيقة أن مسؤوليات عائلة كبيرة للغاية قد أُلقيت بأكملها على عاتقي. أوقف سائق العربة مركبته بالقرب من تينامبيت[50] على جانب الطريق، وذهب لشراء غرضٍ ما من السوق القريب.

بينما كنت في هذه الحالة الذهنية، وبينما كنت جالساً في العربة، شعرت بيدٍ توضع على كتفيّ من الخلف. لقد كان الأثر الذي تركه ذلك في نفسي وجسدي شعوراً سماوياً، في غاية العذوبة، ومفعماً في الوقت ذاته بمهابةٍ جليلة، لدرجة أنني لم أستطع النطق بكلمة واحدة. وفي غمرة هذه الحالة، رأيت رجلاً عبر نافذة العربة، وسرعان ما وضع يده المباركة على رأسي وقال لي - بلهجة هندستانية شمالية واضحة ممزوجة بكلمات من اللغة السنسكريتية -: "يا بني، لا تحزن؛ فستأتي أيامٌ أفضل، ولك مني في هذه الأثناء بركاتي".

بهذه الكلمات مضى مبتعداً؛ فأفقتُ من شرودي، ورأيته يدخل إلى باحة "بارفيتا ماندابام"[51] المتاخمة للطريق، ثم غاب عن ناظري.

عاد سائق العربة، وانطلق بالعربة نحو "بلاك تاون" (المدينة السوداء). وبينما كانت العربة تقترب من تمثال "نيل"، خطرت

---

[49] Jutka.
[50] Tenampett.
[51] Parveta Mandapam.

ببالي فكرة: ربما يكون ذلك الشخص الذي ظهر أمامي مرتدياً ملابس بيضاء، وبمظهرٍ يوحي بأنه بنجابي، هو ذلك "الحكيم" أو "المهاتما" الذي تنبأ بظهوره المنجّمُ في عام 1874. ترجلتُ من العربة على الفور، وعدتُ مسرعاً -شبه راكضٍ- إلى "تينامبيت". دخلتُ إلى المجمع وبحثتُ عنه، لكن دون جدوى؛ ولم يستطع أحدٌ هناك أن يقدّم لي أي أثرٍ يدلّ عليه.

وبما أنه كان عليّ مغادرة مدراس في تلك الليلة بالذات، فلم أستطع مواصلة البحث. ولم يكن ذلك الشخص سوى معلمي المُبجَّل (غورو ديفا)، الذي يُعرف الآن في الأوساط الثيوصوفية باسم "المهاتما كوت هومي".

بين عامي 1876 و1880، أتيحت لي الفرصة لتعلم أسرار الأدفيتا[52] هذه الفلسفة على يد معلمَين. وحين كانت تساورني الشكوك، أو لا أجد في تفسيراتهما للفلسفة ما يرضيني، مما كان يثير قلقي البالغ، حالفني الحظ في أربع أو خمس مناسبات بأن رأيت في منامي الوجه المبارك لـ "المهاتما" -الذي أشرت إليه آنفاً-. فإذا كان محياه باسماً ومفعماً باللطف، اعتبرت ذلك علامةً إيجابية، وإن كان غير ذلك، فالعكس هو الصحيح. وفي مناسبة أو اثنتين، تولى هو بنفسه تبديد شكوكِي من خلال مخاطبتي شفهياً.

في عام 1881، حالفني الحظ بالتواصل مع أحد التلاميذ، الذي كان آنذاك في المراحل الأولى من تطوره الروحي في نيلور.

---

[52] معروفة باسم أدفيتا فيدانتا. المترجم.Adwitah.

قادتني صداقته إلى التعرف على الأخ دامودار ك. مافالانكار في مطلع عام 1881. وفي تلك الفترة بالذات، كان الوجه المألوف والمقدس لمعلمي الروحي (غورو ديفا) يظهر أمامي في أحلامي بوتيرة أكثر تكراراً، وبملامح تنم عن قدر أكبر من اللطف والرضا.

في مطلع عام 1882، وتحت رعاية "الشيلا"[53] (التلميذ) الذي أشرتُ إليه آنفاً ـــ والذي كان حينها يتواجد في المقر الرئيسي للجمعية الثيوصوفية في بومباي ـــ جرت الترتيبات لتأسيس فرع للجمعية الثيوصوفية في نيلور.

بناءً على طلب من الأعضاء هنا، وصلت السيدة بلافاتسكي والعقيد أولكوت إلى نيلور، وجرى افتتاح هذا الفرع.

في الوقت الذي كان فيه المؤسسون هنا، تلقيتُ -للمرة الأولى- رسالةً من المهاتما موريا، موجهةً إليّ وكذلك إلى بعض الثيوصوفيين، تتضمن تعليماتٍ معينةً تتعلق بإدارة هذا الفرع، وما إلى ذلك.

خلال هذه الفترة، كنت أنا ونارايانا سوامي نايدو، وجي. سوبيا شيتي غارو (فرع مدراس من الجمعية الثيوصوفية)، وكذلك سينجارافيلو موداليار (فرع جونتار، من الجمعية الثيوصوفية) حاضرين في قاعة أبستاني[54]. كانت مدام بلافاتسكي تكتب على الطاولة، وكنا نحن جالسين. وحين أخبرتنا بأنها تشعر بوجود

---

[53] **Chela.**
[54] **Apstani.**

معلمها (الغورو) في الغرفة، نظرنا جميعاً إلى الأعلى، وبعد دقيقة أو دقيقتين، سقطت أمامنا رسالة من السقف في وضح النهار. لم تكن هناك أي حِيَل أو أبواب خفية لإحداث تلك الظواهر في ذلك الوقت.

في ذلك اليوم ذاته، وبعد مرور ساعة، وفي حضور نحو اثني عشر شخصاً أو أكثر (من الثيوصوفيين وغير الثيوصوفيين)، دار الحديث حول معرفة تاريخٍ معيّن. اقترح أحدنا (وأعتقد أنه كان "جي. سوبيا تشيتي") أن نطلب من السيدة تزويدنا بتقويم (ألماناك)[55]، واقترح آخر أن يكون تقويماً غير متوفر في "نيلور". عندئذ، انضممنا جميعاً إلى هذا الطلب.

ذكرت مدام بلافاتسكي أنها ستحاول القيام بأمر ما، نظراً لوجود "شيلا" (تلميذ) رفيع المستوى يُدعى "جوالكول"[56] بجوارنا بجسده النوراني. كنا جميعاً نجلس في القاعة ذاتها، وكان هناك شرفة ملحقة مفتوحة نحو الأعلى، بحيث لا يغطينا سوى السماء. طلبت مدام بلافاتسكي من ذلك "الشيلا" أن يقدّم لنا "تقويماً" (ألماناك) كهدية، وفي غضون ثلاث أو أربع دقائق، سقط علينا - بقوة، وكأنه هبط من السماء- كتيب بعنوان "تقويم ومفكرة فينيكس لعام 1882". ناولتني إياه مدام بلافاتسكي، وهو لا يزال بحوزتي حتى الآن.

---

[55] Almanac.
[56] Jwalkool.

أخبرتني مدام بلافاتسكي، حين كانت في نيلور، بأن «الإخوة» قد تحدثوا إليها بشأني، وأنهم كانوا يراقبونني قبل ذلك بوقت طويل، فأجبتها بأنني كنت على علم بذلك.

بعد ذلك، بدأتُ أفكر بجدية أكبر في ظهور "المهاتما" أمامي، سواء في الأحلام أو بطرق ثانية. ثم شرعتُ في تركيز انتباهي على الملامح الجميلة لمعلمي المُبجَّل (غورو ديفا) -الذي عرفتُ حينها أنه المهاتما "كوت هومي"[57]- ولم يذهب صنيعي هذا سدى؛ إذ جاءني الرد على دعائي في غضون أربعة أو خمسة أيام.

منذ ذلك الحين، دأب المهاتما المبارك على توجيهي من خلال أحلامي؛ أو بالأحرى، لم تكن أحلاماً بالمعنى الدقيق، بل حالةً من اليقظة الجزئية. ولعدم وجود مصطلح أدق، سأسميها "أحلاماً". وفي أحد تلك الأحلام (قرابة نهاية شهر مايو)، توسلت إليه بحرارة أن يمنحني سعادة رؤيته بجسده المادي. وبعد لحظة من التأمل، أجاب "الغورو ديفا" بأن عليّ عبور جبال الهيمالايا بمفردي.

منذ تلك اللحظة، قطعتُ على نفسي "ديشكا[58]. وبعد انقضاء نحو أربعة أشهر، وحينما سمحت ظروفي الخاصة بذلك، انطلقتُ متوجهاً إلى مدراس. غادرتُ مدراس مساء الحادي عشر من سبتمبر عام 1882 على متن قطار البريد، ووصلتُ

---

[57] Kut Humi.

[58] Diksha. وعد، نذور

إلى مقر الجمعية الثيوصوفية في بومباي في الثالث عشر من سبتمبر.

في الرابع عشر، وبعد الظهر، وبحضور كل من السيدة بلافاتسكي، والسيدة كولومب، وتوكارام تاتيا، ودامودار ك. مافالانكار، وثيوصوفي آخر، تلقيتُ رسالةً سقطت على رأسي من السقف. كانت الرسالة من مُعلّمي (الغورو الخاص بي).

في تلك الليلة بالذات، وبينما كنت أستعد للنوم في غرفة العقيد أولكوت -حيث كانت الأبواب جميعها مغلقة، والغرفة مضاءة جيداً بضوء المصباح- ذُهلت لرؤية "الشكل النوراني" لمعلمي الروحي (الغورو ديفا) -الذي أكنّ له أقصى درجات التبجيل- وهو يخرج من جدارٍ صلب. سجدتُ أمامه، فباركني وطلب مني -بلغة تيلوغوية[59] سليمة- أن أذهب للقائه فيما وراء جبال الهيمالايا. أما الحوار الذي دار بيننا فهو أسمى من أن يُذكر هنا. ثم اختفى تماماً كما ظهر.

في اليوم التالي، الخامس عشر من سبتمبر، انطلقتُ أنا ومدام بلافاتسكي نحو الشمال. ووصلنا جميعاً - أنا وهي وبابولا - إلى تشانداناغور[60] في صباح التاسع عشر من الشهر نفسه، على متن قطار البريد.

---

[59] Telugu.

[60] Chandernagore.

تركتُ هناك مدام بلافاتسكي وخادمها بالقرب من محطة السكك الحديدية، وعبرتُ نهر هوغلي[61] بالقارب إلى الضفة الثانية، ثم سرتُ مسافة خمسة أميال تقريباً حتى وصلت إلى محطة نالهاتي[62]. ومن هناك، استقليتُ قطار البريد المتجه إلى سيليغوري[63]، حيث وصلت في وقت مبكر من صباح يوم العشرين. بعد ذلك، ركبتُ القطار المتجه إلى دارجيلينغ[64]، ووصلت إليها قرابة المساء، وهناك التقيتُ بـ "باباجي داربا غيريناث"[65].

كنا معاً حتى الثامن والعشرين. سافرنا سوياً، تارةً على ظهور الخيول وتارةً ثانية سيراً على الأقدام، في كل من بوتان وسيكيم[66] وغيرهما. وزرنا العديد من "الغومبا" (المعابد). كما اضطررت إلى عبور نهر رانجيت -ذهاباً وإياباً- أكثر من مرتين، مستعيناً تارةً بالجسر المعلق، وتارةً ثانية بالقارب المخصص للعبور.

خلال هذه الرحلات، وبالقرب من "باري" أو "بارتشونغ" على الحدود الشمالية لولاية سيكيم، حالفني الحظ وسعدت برؤية أكثر المعلّمان المُبجّلان "كوت هومي" و"موريا" في

---

[61] Hughly.
[62] Nalhati.
[63] Siliguri.
[64] Darjiling.
[65] Babaji Dharbagirinath.
[66] Bhutan, Sikkim.

جسديهما الماديّين (الشخصيات نفسها التي رأيت أجسادها النورانية في أحلامي، منذ عام 1869، وفي عام 1876 في مدراس، وفي الرابع عشر من سبتمبر عام 1882، في المقر الرئيسي في بومباي).

لقد رأيتُ أيضاً بضعة مريدين متقدمين، ومن بينهم الشيلا "جوالكول" المبارك، الذي أصبح الآن "مهاتما".

في السادس والعشرين من سبتمبر، وبعد أن علمنا بوصول كل من مدام بلافاتسكي وراماسوامي آير إلى دارجيلينغ، وإقامتهما في منزل "بارفاتي تشورن روي" (المعروف باسم "ويلو-كوت")، التقينا بهما هناك.

ودّعتُ السيدة بلافاتسكي وأصدقائي الآخرين في دارجيلينغ يوم الثامن والعشرين، واستقللتُ القطار متجهاً إلى سيليغوري. وفي اليوم التاسع والعشرين، استقللتُ القطار إلى كلكوتا، ووصلتُ إليها في صباح اليوم الثلاثين.

انطلقتُ في تلك الليلة متجهاً إلى "غايا"، ووصلتُ إليها في الأول من أكتوبر. وهناك، تلقيتُ رسالةً من مُعلّمي الروحي (غورو ديفا) بالطريقة الغيبية المعهودة. وفي اليوم الثاني، غادرتُ متوجهاً إلى "الله أباد". أقمت في الله آباد يومي الثالث والرابع، وغادرت في مساء اليوم الرابع متجهاً إلى جبل بور على متن قطار البريد، الذي وصلت إليه في الخامس من الشهر. وفي السادس منه، استقليت قطار البريد المتجه إلى بومباي.

كنت أنوي البقاء في بومباي يومًا أو يومين، لكن البرقيات والرسائل التي كانت بانتظاري من مدراس لم تترك لي خياراً آخر. وصلتُ إلى مدراس في صباح التاسع من أكتوبر عام 1882.

عند وصولي إلى نيلور في السادس عشر من الشهر، عُقد اجتماع لأعضاء فرع الجمعية في نيلور. وقد أخبرتُ إخوتي كيف رأيتُ الجسد النوراني لمعلمي (الغورو) في المقر الرئيسي في بومباي، وكيف حظيتُ ببركة رؤية "المهاتما" الموقرين للغاية والوجود في صحبتهم.

وفي الختام، أود أن أقول إنني - بفضل نعمة معلمي الروحي (غورو ديفا) - على تواصل مباشر معه، وقد تلقيت منه عدة رسائل منذ عام 1882؛ بل إنني تلقيت منه رسالة مباشرة في وقت متأخر، وتحديداً في يناير 1885، يمنحني فيها الإذن بنشر سردٍ لرحلاتي[67].

ملاحظة: تم تجميع الفصل الثاني أعلاه من مقالة ر. كاسافا بيلاي [67] المكونة من جزأين بعنوان "كيف أجرى هندوسي من مدراس مقابلة مع مهاتما في سيكيم" والمنشورة في صحيفة "ذا إنديان ميرور" (كلكوتا، الهند)، المجلد الخامس والعشرون، 3 مارس 1885، صفحة 2 و7 مارس 1885، صفحة 2. دانيال ه. كالدويل.

الفصل الثالث

لقاءاتي مع المعلم موريا

بقلم إس. راماسواميير[68]

كنتُ عضواً في الجمعية الثيوصوفية منذ نحو شهرين، حين توجهتُ إلى مقر الجمعية في بومباي في ديسمبر عام 1881. وبعد مرور يومين أو ثلاثة على وجودي هناك، جاءتني السيدة بلافاتسكي ذات صباح، وقالت لي إنني أفكر في أمرٍ خاص، وإن لديها توجيهات من "المعلم" بأن أدوّن هذا الأمر كتابةً وأسلّمه إليها. وبالفعل، كتبتُ رسالةً في غضون ذلك اليوم.

طلبت مني السيدة أن أرافقها في جولة بالمركبة، وذلك في وقت ما بين السادسة والسابعة مساءً. وبينما كنا نهبط الدرج لنستقل المركبة، ناولتها الرسالة؛ فوضعتها في جيبها، وركبنا المركبة على الفور.

نزلنا عند مكتب التلغراف، لكي نرسل برقية تهنئة لأصدقاءٍ كانوا على وشك الزواج. وحينها، قالت "المدام"[69] إنها تشعر

---

[68] S. Ramaswamier.

[69] بلافاتسكي. المترجم.

بوجود "المعلمين" في المقر الرئيسي، ورغبت في العودة إلى هناك على الفور.

كنا عادةً نسير صعوداً على الطريق باتجاه المنزل، لكن في هذه المرة لم تسمح لنا "المدام" بالنزول من العربة. وبينما اقتربت العربة من الرواق، لمحتُ هيئة رجلٍ يتكئ على درابزين الشرفة، ممسكاً برسالةٍ بين أصابعه. بقينا جميعاً بلا حراكٍ لبعض الوقت، وكذلك فعل الرجل الذي كان على الشرفة.

ثم ألقى ذلك الكيانُ الرسالةَ، فسقطت على الأرض بالقرب من العربة. ترجّل العقيد أولكوت والتقطها، فهرعنا جميعاً نحو الشرفة، لكن لم يكن هناك أحد.

كانت الليلة مقمرة، يغمرها ضوء القمر الساطع. بدا الرجل طويل القامة -نحو ست أقدام- قوي البنية، وذا وجهٍ وسيمٍ للغاية. كانت عيناه هادئتين تماماً وساكنتين، مما أضفى عليه مسحةً من السكينة. كان شعره داكناً وطويلاً، ولحيته قصيرة. وضع على رأسه عمامةً، ولم ينطق بكلمة. لم أرَ هذا الشخص من قبل، لكنني أدركتُ لاحقاً وجود شبهٍ بينه وبين صورةٍ [للمعلم موريا] كانت بحوزة العقيد، وهي صورةٌ لم أكن قد رأيتها من قبل.

كانت الرسالة موجهة إليّ، وتضمنت ما معناه أنني إذا كنت أستحق اهتمام "المهاتما"، فإنهم سيقدمون لي العون؛ كما أشارت إلى أن رغبتي في أن أصبح تلميذاً لم تكن قديمة العهد، وأنه ينبغي عليّ الانتظار لأرى ما إذا كانت مجرد فكرة عابرة

أم لا. (كنت قد عبّرت في رسالتي -من بين أمور ثانية- عن رغبتي في أن أصبح تلميذاً). كان هذا هو جوهر الرسالة بأكمله، مصاغاً بكلماتي الخاصة. حدث ذلك في وقت ما بين الساعة السابعة والثامنة مساءً.

وفي العام التالي، ونظراً لتأثر صحتي بسبب العمل الرسمي والقلق، تقدمت بطلب للحصول على إجازة بموجب شهادة طبية، وقد مُنحت لي حسب الأصول.

ثم في أحد أيام شهر سبتمبر من عام 1882، وبينما كنت أقرأ [في منزلي بمدينة تينيفيلي في جنوب الهند]، تلقيت أمراً -عبر صوت مسموع- من معلمي المبارك "موريا" بأن أترك كل شيء وأتوجه فوراً إلى بومباي؛ حيث كان عليّ أن أبحث عن السيدة بلافاتسكي أينما وجدتها، وأن أتبعها حيثما ذهبت. ودون إضاعة لحظة واحدة، أنهيت كافة شؤوني ورحلت.

عند وصولي إلى بومباي، وجدتُ أن مدام بلافاتسكي قد غادرت. ولأنني لم أكن أعرف حقاً إلى أين يجدر بي الذهاب، فقد قطعتُ تذكرة مباشرة إلى كلكوتا؛ لكنني، حين بلغتُ الله أباد، سمعتُ ذلك الصوت المألوف ذاته يوجهني للذهاب إلى برهامبور[70].

في الثالث والعشرين من سبتمبر، اصطحبني نوبين بابو من كلكتا إلى تشانداناغور، حيث وجدتُ السيدة بلافاتسكي مستعدةً

---

[70] Berhampore.

للمغادرة بالقطار متجهةً إلى دارجيلينغ. وما إن وصل القطار حتى صعدت هي إلى إحدى العربات، بينما لم يسعفني الوقت إلا بالكاد لأقفز إلى العربة الأخيرة.

في الأيام الأولى لوصولها إلى دارجيلينغ، كانت السيدة بلافاتسكي تقيم في منزل رجل بنغالي من أتباع الحركة الثيوصوفية، وكانت ترفض مقابلة أي شخص. ورغم كل إلحاحنا، لم نحصل منها سوى على هذا الرد: أنه لا شأن لنا بها، وأنه ينبغي لنا ألا نلاحقها أو نتبعها، أنها لم تكن ترغب في وجودنا، وأنه لم يكن من حقها إزعاج "المهاتما" بطرح شتى أنواع الأسئلة عليهم.

في حالة من اليأس، عقدت العزم -مهما كانت العواقب- على عبور الحدود، التي تبعد عن هنا نحو اثني عشر ميلاً، لأعثر على «المهاتما»... أو أموت. وفي صباح يوم الخامس من أكتوبر، انطلقتُ بحثاً عن «المهاتما» دون أن أبوح لأحدٍ بنواياي. وفي ظهيرة اليوم ذاته، وصلتُ إلى ضفاف نهر «رونجيت»، الذي يشكّل الحدود الفاصلة بين الأراضي البريطانية وأراضي "سيكيم".

قضيت فترة ما بعد الظهيرة بأكملها أسير على قدمي، متوغلاً أكثر فأكثر في قلب إقليم "سيكيم" عبر ممر ضيق. وبحلول ما قبل الغسق، كنت قد قطعت مسافة لا تقل عن عشرين أو خمسة وعشرين ميلاً. وطوال الطريق، لم أرَ حولي سوى غابات وأدغال كثيفة لا سبيل لاختراقها، لا يقطع رتابتها -إلا على

فترات متباعدة للغاية- سوى أكواخٍ متناثرة يقطنها سكان الجبال.

عند الغسق، بدأتُ أبحث حولي عن مكانٍ لأستريح فيه ليلاً. وبعد نومٍ عميقٍ لم تُعكّره أي أحلام، استيقظتُ لأجد أن الفجر قد بدأ يبزغ. لم أُضِعْ وقتاً؛ فما إن اتضح ضوء النهار تماماً، حتى تابعتُ مسيري عبر التلال والوديان.

كان الوقت، على ما أعتقد، بين الثامنة والتاسعة صباحاً، وكنت أسير على الطريق المؤدي إلى بلدة سيكيم -حيث أكد لي أشخاص التقيت بهم في طريقي أنه يمكنني العبور منها بسهولة إلى التبت وأنا أرتدي زي الحجاج- حين رأيت فجأة فارساً وحيداً يسرع نحوي من الاتجاه المعاكس. بفضل قامته الفارعة والطريقة الماهرة التي كان يسيطر بها على الحيوان، ظننته ضابطاً عسكرياً في جيش حاكم "سيكيم". قلت في نفسي: "هل وقعت في الفخ؟". لكنه، حالما اقترب مني، شدّ لجام جواده.

نظرتُ إليه فعرفتُه على الفور؛ فقد كنتُ في حضرة مُعلّمي المُبجَّل. وفي اللحظة ذاتها، وجدتُ نفسي ساجداً عند قدميه. نهضتُ حين أمرني بذلك، وبينما كنتُ أتأمل وجهه بتمهّل، غبتُ عن ذاتي تماماً. لم أدرِ ما أقول؛ فقد عقد الفرحُ والإجلالُ لساني.

كنتُ أخيراً وجهاً لوجه أمام "مهاتما الهيمافات"[71]، ولم يكن مجرد أسطورة. لم يكن ذلك حلماً يراود المرء ليلاً؛ فقد كان الوقت بين التاسعة والعاشرة من صباح ذلك اليوم، والشمسُ ساطعةٌ في الأعالي، تشهدُ على المشهدِ في صمت.

يخاطبني بنبراتٍ يملؤها اللطف والوداعة. ولم أجد نفسي مدفوعاً إلى التفوّه بكلماتٍ قليلة إلا بعد لحظاتٍ تلت ذلك، إذ شجّعني أسلوبه الرقيق ونبرة صوته الهادئة.

لم أرَ قطُّ وجهاً بهذه الوسامة، ولا قامةً بهذا الطول والمهابة. كان يرخي لحيةً سوداء قصيرة، وينسدل شعره الأسود الطويل ليصل إلى صدره. ارتدى رداءً أصفر مبطنًا بالفرو، وعلى رأسه قبعةٌ تبتيةٌ صفراء مصنوعةٌ من اللباد.

حين انقضت اللحظات الأولى من الغبطة والمفاجأة، واستوعبتُ الموقف بهدوء، خضتُ معه حواراً طويلاً. نصحني ألا أمضي أبعد من ذلك، محذراً إياي من أنني سأواجه المتاعب؛ وقال إنه ينبغي عليّ الانتظار بصبر إذا كنت أرغب في أن أصبح "شيلا" (تلميذاً) مقبولاً.

لاحظتُ أن "المهاتما" لا يتحدث الإنكليزية إلا قليلاً -أو هكذا بدا لي على الأقل- وقد خاطبني بلغتي الأم، التاميلية. سألتُ المهاتما المبارك إن كان بإمكاني أن أنقل للآخرين ما رأيتُه وسمعتُه، فأجاب بالإيجاب. وعندما ودّعتُه بتقديم التحية التقليدية (الانحناء احتراماً)، تفضّل بالقول إنه قد اقترب من

---

[71] Himavat.

الأراضي الخاضعة للسيطرة البريطانية بهدف لقاء السيدة بلافاتسكي.

وقبل أن يغادرني، وصل رجلان آخران على صهوة جوادين - ربما كانا من مرافقيه، أو ربما من "الشيلا" (المريدين) - إذ كانا يرتديان ملابس تشبه ملابسه، وشعرهما الطويل ينسدل على ظهريهما. وحين انطلق "المهاتما" مغادراً، تبعاه وهما يسيران بجواديْهما بخطوات وئيدة ومنتظمة.

على مسافة ليست ببعيدة، رأيت باعةً صغاراً ومعهم خيولٌ محليةٌ مُحمَّلةٌ بالأثقال. استأجرتُ أحد هذه الحيوانات، وفي فترة ما بعد الظهر وصلتُ إلى نهر "رونجيت" وعبرتُه. كان الاستحمام في مياهه الباردة سبباً في تجديد نشاطي. اشتريتُ بعض الفاكهة من السوق الوحيد هناك وتناولتُها بشهية، ثم امتطيتُ حصاناً آخر على الفور، ووصلتُ إلى "دارجيلينج" في وقتٍ متأخرٍ من المساء.

لم أكن قادراً على الأكل، ولا الجلوس، ولا الوقوف؛ فقد كان كل جزءٍ من جسدي يؤلمني. يبدو أن غيابي قد أثار قلق مدام بلافاتسكي، فوبختني على محاولتي المتهورة والمجنونة للذهاب إلى التبت بهذه الطريقة. قصصتُ عليها كل ما حدث لي.

بعد مرور أشهر، وفي نهاية عام 1882، اجتمع عددٌ منا في الشرفة العلوية بمقر الجمعية الثيوصوفية في بومباي.

رأيت فجأة، على مسافة تقارب خمس عشرة خطوة، كياناً متلألئاً اتخذ هيئة رجل. لم يكن يسير على الأرض، بل بدا وكأنه ينزلق في الهواء بين أغصان الأشجار العلوية. تحرك ذهاباً وإياباً أربع أو خمس مرات. لم أستطع التعرف على الشخص، ولا تبين ما إذا كان ملتحياً أم لا، كما لا يمكنني الجزم بطوله. كان الليل مقمراً، وكان الوقت بين الثامنة والتاسعة مساءً.

في ذلك الوقت تقريباً، كنت أجلس مع مدام بلافاتسكي، ومدام كولومب، ونوريندرا، وجاناكي، ونوبين ك. بانيرجي، وآخرين، في شرفةٍ ملاصقةٍ لغرفة الكتابة الخاصة بمدام بلافاتسكي.

على أحد الجوانب، كان هناك تل يرتفع تدريجياً نحو القمة، وقد غطته الأشواك. لمحتُ ما يشبه وميضاً من الضوء، سرعان ما اتخذ هيئة شخصٍ على مسافةٍ تبلغ نحو عشرين قدماً. كان الوقت ما بين السابعة والثامنة مساءً، ولا أستطيع الجزم إن كان ذلك بفضل ضوء القمر أم لا. لم أتعرف على تلك الهيئة؛ فلا يمكنني القول ما إذا كان صاحبها ملتحياً أم لا، ولا إن كان يرتدي عمامةً أم لا. اقتربت "المدام" من سفح التل وتبادلت بعض الإشارات مع ذلك الشخص، ثم توجهت هي إلى غرفتها عبر المسار الواقع في جهتنا، بينما سار ذلك الشخص باتجاه غرفة "المدام" من الجهة الثانية.

بعد ذلك، جاءت إلينا "السيدة" وهي في حالة من الحماس الشديد، وأخبرتنا بأن أحد المندوبين قد تسبب في تدنيس المكان، وهو ما حال دون اقتراب ذلك الكيان منا. وبعد فترة

وجيزة، ظهر الكيان مجدداً على التلة، ثم اختفى فجأة، تاركاً وراءه وهجاً تلاشى تدريجياً.

وفي عام 1884، لم يعد بوسع رجال الدين المسيحيين إنكار وجود "المهاتما"؛ فقد جرت مراسلات بين عدد من المسؤولين الإنكليز في الخدمة المدنية وبينهم، في وقت كانت فيه السيدة "بلافاتسكي" بعيدة كل البعد ولا علم لها بالأمر، ناهيك عن عشرات الأشخاص الآخرين، سواء من الأوروبيين أو من السكان المحليين.

وأنا أيضاً يمكنني الادعاء بشرف إجراء مقابلة مع أحد هؤلاء، وهو في جسده المادي، خارج حدود ديرٍ بوذي (لاماسيري) بالقرب من سيكيم، على الطريق المؤدي إليه من دارجيلنغ.

لقد رأيته هو وعدداً من تلاميذه، في هيئتهم النورانية، في مناسبات عديدة. كما رآهم -تماماً كما رأيناهم نحن- كثيرٌ من أصدقائنا الذين كانوا برفقتنا في تلك الأوقات. تتواجد السيدة بلافاتسكي حالياً في أوروبا، وكذلك العقيد أولكوت؛ ومع ذلك، فإن تواصلنا مع "المهاتما" لا يزال مستمراً دون انقطاع. وإذا كانت السيدة بلافاتسكي قادرة على القيام بذلك، فهي إذن، وبحق، "مهاتما".

في يومنا هذا، لا ينضم إلى اللاهوتيين المسيحيين في إطلاق صيحات واهية ضد وجود مثل هذه القوى النفسية الغيبية إلا أولئك الذين لم يجدوا الوقت، أو لم تكن لديهم الرغبة، للبحث

في القوانين النفسية. فالمسألة الوحيدة هي ما إذا كانت هذه القوى تُفعَّل بالفعل في أحداثٍ بعينها.

إن أفضل الشهود لإثبات مثل هذه الأمور هم أولئك الذين رأوها بأنفسهم، لا الآباء [الرهبان] الذين ينأون بأنفسهم عنها عمداً، ناسبين إياها جميعاً إلى مكائد صديقهم، الشيطان. ويدّعي هؤلاء الآباء الآن أن كل الظواهر الغيبية أو النفسية لم تكن سوى خدعٍ دبّرتها السيدة بلافاتسكي بمساعدة عائلة كولومب.

سأذكر حالتين -من بين حالات عدة- عايشتهما بنفسي. فقد تلقيت رسالة من رجل أمريكي يعمل في شركة مرموقة -وهو لا تربطه أي صلة بـ "الجمعية الثيوصوفية"- يطرح فيها بعض الأسئلة حول الفلسفة الآرية. وحين تسلمت الرسالة من ساعي البريد في مقر إقامتي في "تينيفيلي" وفتحتها، وجدنا أن إجابات الأسئلة الأكثر تعقيداً قد دُوّنت بالفعل بجانب كل سؤال منها، مذيلةً بالأحرف الأولى المعروفة لمعلمي الجليل "موريا". ولا تزال هذه الرسالة بحوزتي حتى يومنا هذا، علماً بأن السيدة "بلافاتسكي" لا تعلم عنها شيئاً على الإطلاق.

في أحد الأيام، وبينما كنت في منزلي في "تينيفيلي"، كان أحد العلماء (الباندیت)[72] من طائفة "شاكتايا" يتحدث إلينا بأسلوبٍ بليغٍ عن مزايا طقوس "شاكتايا" مقارنةً بغيرها، فيما يتعلق بتطوير القوى النفسية. قمتُ بتدوين النقاط الجوهرية لحجته على ورقةٍ في حضوره، ثم وضعتها في مظروفٍ، وكتبتُ عليه

---

[72] هندوسي ضليع بالعلوم المقدسة. المترجم.

عنوان معلمي (الغورو)، ووضعتُ المظروف في صندوقي. حدث هذا في المساء.

في صباح اليوم التالي، وجدت على طاولتي -إلى جانب أوراق ثانية- الغلاف ذاته، وكان لا يزال مغلقاً، لكن كُتب عليه عنواني فوق العنوان الأصلي. فتحتُ الغلاف، فوجدتُ بين سطور الرسالة الأصلية رداً مفحماً على كل المنطق الزائف الذي ساقه "الباندیت"، مدعوماً باقتباسات من "الأوبانيشاد" باللغة السنسكريتية، كُتبت بعناية بحروف "الديفاناغاري"[73]. كانت مدام بلافاتسكي حينها في مدراس، وهي حتى يومنا هذا لا تعلم شيئاً عن تلك الرسالة أو الرد الذي كُتب عليها.

نحتفظ لدينا بعشرات الرسائل من هذا النوع، التي تلقيناها من معلمنا الموقر حين كنا بعيدين عن مدام بلافاتسكي أو العقيد أولكوت. وقد اطلع العديد من أصدقائنا على بعض هذه الرسائل، التي يتضمن بعضها اقتباسات باللغة التاميلية مكتوبة بخطٍ أنيق.

إذا ادعى الآباء (الرهبان) أننا - نحن وآخرين خاضوا التجربة ذاتها - نعيش في حالة من الهلوسة، فيمكننا الرد بأن تعريف هذه الكلمة سيحتاج حينها إلى تعديل جوهري؛ إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار الرسائل التي بحوزتنا مجرد هلوسة.

---

[73] **Devanagari.**

كما يضلل هؤلاء الآباءُ الجمهورَ حين يزعمون أن "الجمعية الثيوصوفية" قائمة على الظواهر الغيبية (الباطنية)[74]؛ فما من ظاهرة تُعرض لذاتها، بل تنتمي هذه الظواهر إلى مستوى أرقى من مستويات الوجود، ويستخدم أصحابها - ضمن ذلك المستوى - أيسرَ الوسائل المتاحة لديهم للتواصل مع تلاميذهم وغيرهم[75].

.

---

[74] Occult.

[75] ملاحظة: تم تجميع الفصل الثالث أعلاه وإعداده من عدة وثائق بواسطة إس. راماسواميير.
"كيف وجد "التلميذ - الشيلا" مُعلِّمه".
مجلة «الثيوصوفي» (بومباي، الهند)، ديسمبر 1882، الصفحات 67–69. دانيال ه. كالدويل.

الفصل الرابع

معرفتي الشخصية بالمهاتما كوت هومي

بقلم موهيني إم. تشاتيرجي[76]

بما أن خصوم "الجمعية الثيوصوفية" يحاولون الآن النيل من مصداقية الحركة برمتها، من خلال ترويج مزاعم بأن "المهاتما" - أو الحكماء الشرقيين - ليسوا سوى "تلفيقات ماكرة من قماش الموسلين والمثانات"، فإنني أطلب الإذن لأقول كلمة في هذا الشأن.

لقد ضحيت بكل آفاقي الدنيوية - وهو أمر معروف جيداً في مدينتي الأم، كلكوتا - لأكرس نفسي لنشر الفلسفة الباطنية الخاصة بعرقي، وذلك من خلال "الجمعية الثيوصوفية" التي تتعرض اليوم لافتراءات ظالمة. وغني عن القول إنني لم أكن لأقدم على هذه الخطوة، أنا وغيري الكثير من أبناء وطني، لو كانت "الجمعية الثيوصوفية" مجرد خدعة، ولو كان "المهاتما" مجرد "تلفيقات رخيصة من قماش الموسلين والمثانات".

بالنسبة لي، كبرهماني، يبدو من البغيض الحديث عن العلاقة المقدسة والسرية للغاية التي تربط المعلم الروحي بتلميذه؛

---

[76] **Mohini M. Chatterji.**

ومع ذلك، يفرض عليّ الواجب في هذه الحالة أن أقول إن لدي معرفة شخصية ومطلقة بوجود "المهاتما" الذي كان يراسل السيد "سينيت"، والذي يعرفه العالم الغربي باسم "كوت- هومي". لقد كنت على علم بهذا "المهاتما" قبل أن أتعرف على السيدة "بلافاتسكي"، كما التقيت به شخصياً حين مرّ عبر البلاد من مكان رئاسة الجمعية في مدراس في طريقه إلى الصين في العام الماضي.

لقد رأيتُ أيضاً تجلياتٍ لـ «المهاتما» في مناسباتٍ عديدة؛ ربما خمس أو ست مرات. ففي شهر ديسمبر من عام 1882، وفي مدينة بومباي، رأيتُ تجلياً لأحد هؤلاء «المهاتما» للمرة الأولى. لا أتذكر التاريخ بدقة، لكن يمكن التحقق منه بسهولة؛ فقد كان ذلك بعد أيامٍ قليلة من الاحتفال بذكرى تأسيس «الجمعية الثيوصوفية» في ذلك العام.

وفي إحدى الأمسيات، كنا نجلس -نحن ثمانية أو عشرة أشخاص- على شرفة مقر الجمعية. كنتُ أستند إلى درابزين الشرفة حين لمحتُ من بعيدٍ شيئاً متألقاً، سرعان ما اتخذ هيئةَ إنسان. وقد مرَّ هذا الكيان البشري أمامنا ذهاباً وإياباً عدة مرات. وأقدّر أن هذا التجلي ظلَّ مرئياً لمدة تتراوح بين أربع وخمس دقائق، على مسافةٍ تبعد عني نحو 20 أو 30 ياردة.

ظهر الكيان عند موضعٍ ينحدر فيه التل، بينما كان المنزل يقع عند قمته. كما كان هناك منعطف في ذلك المكان، بحيث يستحيل على أي إنسان عادي أن يُرى لو كان يسير هناك.

ومع ذلك، فقد رأيتُ الكيان بكامله، مما يعني أنه لا بد كان يطفو في الهواء.

لم أكن الوحيد الذي رأى هذا الكيان؛ فقد شاهده أيضاً أشخاص آخرون، منهم: "نوبين كريشنا بانيرجي"، وهو نائب جابي ضرائب في "بيرهامبور" بمنطقة "مورشيداباد" في البنغال؛ و"إس. راماسوامير"، وهو مسجل مقاطعة في "مادورا" بـ "مدراس"؛ و"باندیت شاندرا سيكير"، الذي يقيم في "باريلي" بالمقاطعات الشمالية الغربية.

كان "راماسوامير" وأنا أول من لاحظ وجوده. بدا لنا وكأنه تجسيدٌ لصاحب الصورة الموجودة في غرفة العقيد "أولكوت"، وهي صورة ترتبط بأحد "المهاتما". حدث ذلك في حوالي الساعة التاسعة والنصف أو العاشرة ليلاً، في ليلةٍ مقمرةٍ وساطعة. سار الكيان ذهاباً وإياباً ثم اختفى؛ إذ بدا وكأنه تلاشى تدريجياً.

حدثت المرة الثانية التي رأيت فيها ظهوراً نورانياً بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أيام. كنا نجلس على الأرض — فوق صخرة خارج المنزل في بومباي — حين ظهر كيانٌ على مسافة قريبة منا. لم يكن هو الكيان نفسه الذي ظهر في المرة الأولى؛ فقد كان هذا الكيان النوراني يتمتع باللون المتوهج ذاته الذي رأيته سابقاً، وبدا وكأنه يطفو في الهواء، دون أن يصدر عنه أي صوت. كان أشبه بمادة الفوسفور في الظلام، وكان شعره داكناً ويمكن تمييزه بوضوح من ملامح وجهه.

كان العقيد أولكوت حاضراً في المرة الأولى، وكما ذكرتُ سابقاً، فإن الكيان الذي ظهر حينها كان "المعلم موريا" الخاص به.

أما الحالة الثالثة التي سأصفها، فقد كانت الأخيرة، ووقعت في أوائل عام 1884، قبيل مغادرتي الهند متوجهاً إلى أوروبا. كنا نجلس في غرفة الاستقبال بالمنزل الكائن في المقر الرئيسي بمدينة أديار في مدراس، وكان الوقت يقارب الحادية عشرة ليلاً. تطل نافذة الغرفة على شرفة أو فناء خارجي.

وفي إحدى زوايا الغرفة، ظهرت مادة ضبابية رقيقة ذات لون أبيض ساطع. بدأت هذه المادة تتخذ شكلاً تدريجياً، وظهرت فيها بقع داكنة، وبعد فترة وجيزة، تحولت إلى هيئة بشرية كاملة، بدت صلبة تماماً كأي جسد بشري عادي.

مرّ هذا الكيان أمامنا ذهاباً وإياباً عدة مرات، مقترباً حتى صار على مسافة ياردة أو ياردتين من المكان الذي كنا نقف فيه بالقرب من النافذة. لقد اقترب لدرجة أنني أعتقد أنني لو مددت يدي، لربما تمكنت من لمسه. كان ذلك "كوت هومي"، مراسِل السيد سينيت.

بعد فترة، قلت للمعلم "كوت هومي" -بما أنني لن أراه لفترة طويلة بسبب سفري إلى أوروبا- إنني أرجوه أن يترك أثراً ملموساً لزيارته. فرفع يديه وبدا وكأنه يلقي شيئاً نحونا؛ وفي اللحظة التالية، وجدنا وابلاً من الورود يتساقط علينا داخل

الغرفة، وهي ورود من نوعٍ يستحيل الحصول عليه في ذلك المكان.

ثم طلبنا من ذلك الطيف أن يختفي من ذلك الجانب من الشرفة الذي لا يوجد فيه مخرج، فكان اختفاؤه مفاجئاً.

كان ارتفاع الشرفة يتراوح بين 15 و20 قدماً، وعلاوة على ذلك، كان هناك أشخاص في الطابق السفلي وفي أرجاء المنزل كافة؛ لذا كان من المستحيل أن يقفز أي شخص إلى الأسفل دون أن يلاحظه أحد.

وعندما مرّ ذلك الطيف أمامنا ذهاباً وإياباً، لم نسمع وقع أي خطوات. وإلى جانبي، كان كل من دامودار ومدام بلافاتسكي موجودين في الغرفة في ذلك الوقت[77].

ملاحظة: تم تجميع الفصل الرابع أعلاه من مصدرين: "المهاتما الثيوصوفيين" بقلم موهيني تشاتيرجي، صحيفة «بال مال غازيت» (لندن)، 2 أكتوبر 1884، ص 2؛ والتقرير الأول للجنة «جمعية الأبحاث النفسية". تم تعيينه للتحقيق في الأدلة على الظواهر العجيبة التي قدمها بعض أعضاء الجمعية الثيوصوفية، 1884، الملحق الثاني، الصفحات 63-67. دانيال ه. كالدويل. [77]

الفصل الخامس

المهاتما كوت هومي في أحلامي ورؤاي

بقلم سي. راميا[78]

أبلغ من العمر إحدى وخمسين سنة؛ وأذكر هذه الحقيقة لأبين أنني لا أملك حماس الشباب، ولا ما يصاحبه عادةً من جموح في الخيال. سأدوّن الأحداث التالية وفقاً لترتيب وقوعها معي، وللقارئ مطلق الحرية في استخلاص ما يراه مناسباً من نتائج.

أنا من طائفة البراهمة المتمسكين بالعقيدة التقليدية، وقد نشأتُ في كنف والديّ على الإيمان بوجود إلهٍ شخصيٍّ عظيمٍ واحد، إلى جانب آلهةٍ ثانية كثيرةٍ أقل شأناً، تمتلك سلطاتٍ واسعةً على الطبيعة وعناصرها، وقد ارتقوا إلى مراتبهم هذه تدريجياً بفضل معرفتهم بالفلسفة الباطنية (الغيبية).

في عام 1864، رأيت ذات ليلة في المنام "مهاتما" يجلس في مكان مرتفع في الهواء، وكان يرتدي في إصبعه خاتماً يتوسطه نجم ساطع للغاية. أشار ذلك المهاتما إليّ أمام "شيلا" (تلميذ) كان يقف بجانبه، ولم يحدث شيء آخر بعد ذلك. وفي عام 1880 تقريباً، انتقلت في أحد أحلامي إلى قرية ريفية تقع عند سفح سلسلة جبال شاهقة؛ وهناك رأيت مهاتما يرتدي

---

[78] **C. Ramiah.**

رداءً وغطاء رأس بوذياً، وكان حافي القدمين. سارعت على الفور بالانحناء عند قدميه، فأمرني بالنهوض، ووضع يديه كلتيهما على رأسي، ووجهني بأن أواصل المضي قدماً في نهج الحياة الذي كنت أتبعه.

في عام 1881، جذبت "الجمعية الثيوصوفية" التي كانت قد تأسست حديثاً- اهتمام الجميع. وحين بلغ إلى علمي أن أحد "المهاتما" (المعلمين الروحيين) ينظر بعين الرضا إلى مسيرة هذه الجمعية ونجاحها، تضرعتُ طالباً أن يُمنح لي الإيمان.

كنت أكرر هذا الدعاء كل ليلة، وفي إحدى الليالي، وجدتُ نفسي في المنام أُنقل إلى سلسلة جبال، حيث رأيتُ ذلك "المهاتما" نفسه (الذي سبق أن ظهر لي مرتدياً رداءً بوذياً) واقفاً على صخرة منعزلة، بينما كانت تفصلني عنه هوةٌ سحيقة.

ولعجزي عن الاقتراب منه، سجدتُ على الأرض، فأُمرتُ بالنهوض وسُئلتُ عما أريد.

كررتُ طلبي بأنني أرغب في معرفة المزيد عن الإيمان، فإذا بي أفاجأ بانطلاق كتلة ضخمة من نارٍ متوهجة من صدره، تفرعت منها ألسنةٌ لهبٍ متعددة؛ وتطايرت بضع شظايا من تلك النار نحوي، لتستقر وتندمج في كياني. بعد ذلك، اختفى "المهاتما"، وبهذا انتهى حلمي الثاني.

في منتصف عام 1883، وفي إحدى الليالي، انتقلتُ في حلمي إلى سلسلة جبلية شاهقة، حيث قادني أحدهم إلى أعماقها.

وهناك، وجدتُ معبداً محفوراً في الصخر على هيئة قاعة مستطيلة، ورأيتُ "المهاتما" ذاته -الذي كان قد ظهر لي في مناسبتين سابقتين- جالساً على مقعد منخفض، وأمامه مزارٌ. وعلى جانبي المزار، اصطفّت مجموعتان من "المهاتما"، كانوا جميعاً يرتدون أثواباً بوذية، باستثناء زعيمهم.

سجدتُ كما جرت العادة، فأُمرتُ بالنهوض، ثم طُلب مني الطواف حول المزار. وبينما كنتُ أطوف برفقة مَن أرشدني، رأيتُ سيدتين أو ثلاثاً في حالة من التعبد العميق. وعلى المزار، لاحظتُ وجود مادة شديدة التوهج تشبه الفوسفور، كانت ملتفةً بشكل غير منتظم -كأنها ثعبان- في بقعة مظلمة. أبديتُ رغبتي في معرفة ماهية هذه المادة، ففتحت إحدى السيدات عينيها وأخبرتني أن المزار يرمز إلى "الأرض" - وهي الحالة التي ستؤول إليها أجسادنا المادية جميعاً عاجلاً أم آجلاً- أما المادة المتوهجة فهي "الروح" أو "الجوهر" أو ما يُعرف بـ "جيوتي"[79] وهي القوة التي تحرّك الكون بأسره[80].

---

[79] Jyoti.

[80] ربما يقصد المُراسِل "مذبحاً" وليس "مزاراً". غير أن التفاصيل التي يوردها حول "الجيوتي" (الشعلة) تبدو مطابقة لما يُقال إنه موجود في أحد المعابد في التبت. ترمز هذه الشعلة إلى ما يسميه الفلاسفة الهندوس "بارامجيوتي" (النور الأسمى)، وهو ما يصوره البوذيون أحياناً على هيئة "الشمس الصفراء داخل زهرة اللوتس". - محرّر مجلة "ذا ثيوسوفيست" [تي. سوبا راو].

عُدتُ إلى الزعيم، وبعد أن سجدتُ أمامه مرةً ثانية، غادرتُ المكان الذي ذُكر -على لسان أحد "المهاتما" الواقفين هناك- أنه يُدعى "هارثايري"[81].

كنتُ أُمعن التفكير في هذه الأحلام، حتى أثقلت هذه الأفكارُ كاهلَ عقلي، فدعوتُ "المهاتما" أن يمنحوني بعض الراحة.

في حلمٍ راودني مجدداً قبل نحو شهرين (يونيو 1884)، أُمِرتُ بالذهاب إلى السيد "تي. سوبا راو"[82] -الرئيس الجدير لفرع "مدراس" التابع للجمعية الثيوصوفية- فذهبتُ إليه بعد أن تكرر ذلك الصوت للمرة الثانية.

شرحتُ له تجربتي بالكامل، فطلب مني بلطفٍ أن أزور المقر الرئيسي للجمعية الثيوصوفية في "أديار" بمدينة "مدراس"؛ لأرى إن كنتُ سأتعرّف على ملامح "المهاتما" الذي ظهر لي في حلمي.

ذهبتُ إلى هناك في المساء نفسه، وفي حوالي الساعة الرابعة عصراً، فُتحت أبواب "المزار" ولدهشتي، وجدتُ في صورة "المهاتما" الجليل "كوت هومي" الملامح ذاتها التي رأيتها للمهاتما في أحلامي.

---

[81] بخصوص هذه الكلمة "هاثايري"، انظر الحاشية رقم 6 في هذا الشأن الصفحة 56 أدناه.

[82] T. Subba Row,

ضممتُ يديّ في وضع الضراعة، وعلى شفتيَّ ترددت عبارة "يا إلهي القدير"، ثم جثوتُ على ركبتيَّ. وبعد ساعة من ذلك، أصبحتُ عضواً في الجمعية الثيوصوفية.

وعقب إدراكي أن "المهاتما" الذي يظهر في أحلامي هو ذاته "المهاتما ك. هـ"[83] -الذي تزين صورته المزارَ في مقر الجمعية بأديار- عقدتُ العزم على استحضار هيئته في ذهني. وبعد محاولات جادة ومكثفة، نجحتُ في ترسيخ ملامحه بدقة في عقلي، بما في ذلك تفاصيل ردائه البوذي وقدميه العاريتين.

كنت أستحضر هذه الرؤى مراراً، وفي كل مرة كانت الملامح تزداد وضوحاً وتحديداً. ففي إحدى المرات، ظهر "المهاتما" جالساً، وفي مرات ثانية بدا واقفاً، بل ظهر في بعض المناسبات وهو يقف في مكان مرتفع؛ وحين كنت أحاول الاقتراب منه من الأرض المنخفضة التي خُيِّل إليّ حينها أنني أقف عليها، كان يمد يده وكأنه يساعدني على الصعود. لم تكن هذه أحلاماً، بل كانت رؤىً تتجلى في وضح النهار خلال أوقات صلاتي. ومع مرور الوقت، لاحظت أن ملامح "المهاتما" بدأت تكتسي تعبيراتٍ من الحزن، وظننت أن ذلك يعود إلى حياتي المليئة بالخطايا.

غير أنَّ تغيُّراً طرأ عليَّ بعد فترة وجيزة، وأدركتُ -بأسفٍ شديد- أنَّ غيوماً ذهنيةً راحت تتراكم بيني وبين "المهاتما"، فحجبتْه عن رؤيتي تماماً؛ وكانت تلك الغيوم تتوالى الواحدة

---

[83] كوت هومي. المترجم.

تلو الأخرى بسرعةٍ فائقة. وحين كنتُ أُفلح في تبديدها بقوة الإرادة، كان الضوء الداخلي -الذي يُمكّنني من رؤية "المهاتما" بعين عقلي- يزداد توهُّجاً ويتخذ ألواناً متنوّعةً زاهية، لدرجةٍ جعلتني أعجز عن رؤية أيّ شيءٍ على الإطلاق. وفي أوقاتٍ ثانية، كان هذا الضوء الداخليُّ ذاتُه يضطرب بشدَّة، بحيث كانت محاولةُ رؤية "المهاتما" في تلك الحالة تُسبِّب ألماً لعين العقل.

أعتذر بشدة عن الانقطاع المذكور أعلاه؛

ففي أحد الأيام، وبينما كنت غارقاً في الصلاة، لمحتُ شعاعاً من نورٍ ذي مسحةٍ ذهبيةٍ يتألق في داخلي. ومع تتبعي له، ازداد هذا النور كثافةً، وانتشرت صبغته الذهبية في كياني بأسره. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد النور ليشمل الأرض بأكملها، بل وتجاوزها، ليُضيء أرجاءً أبعد مما يمكن للعين الذهنية أن تدركه أو تتصوره.

وفي خضم هذا النور، أبصرتُ عوالمَ في حالة حركة، ورأيتُ شتى أنواع المادة، وأشكالاً بشريةً وغيرها، وهي تتحرك جميعاً داخل محيطٍ من الضياء. كان مشهداً بديعاً للغاية، وبعد مرور نحو خمس دقائق، بدأ النور ينحسر تدريجياً ليعود إلى هيئته الأولى كشعاعٍ منفرد؛ وفي غمرة الضياء الذي كان يبثه، تجلت لي الهيئة السامية والمجيدة لـ "المهاتما".

ومع ذلك، يجب أن أضيف هنا أنه طالما ظل هذا الشعاع الضوئي ذو اللون الذهبي مرئياً بالنسبة لي، فإن السحب، أو

الضوء القوي للغاية المتعدد الألوان، أو حتى عدم استقرار الضوء، لم تكن لتُفسد هذه الرؤية. ولا أملك أي سيطرة على هذا الشعاع الضوئي البديع؛ فهو يظهر حين لا أكون متوقعاً لظهوره، بينما يغيب حين أرغب في رؤيته. كما أن مدة بقائه ليست ثابتة، وكذلك شدة سطوعه.

ذكرتُ كل هذا لصديقي الموقر السيد "سوبا رو"، فنصحني بأن أدقق النظر لأتبين ماهية الأشياء التي أراها في ذلك الضوء البديع، ولم أُهمل نصيحته.

وفي أحد الأيام، وبينما كنتُ غارقاً في صلواتي، ظهر ذلك الشعاع الذهبي؛ فحدقتُ من خلاله لألمح هيئة "المهاتما". وما إن وقع بصري عليه حتى بدأ بالابتعاد.

تبعتُه، فمضى بخطوات ثابتة صعوداً، حتى لاحت لي تضاريس جبلية. راح يصعد الجبال ويهبط منها، تارةً يتجه يميناً وتارةً يساراً، إلى أن وصل أخيراً إلى ضفة نهرٍ عريض، ثم اختفى.

سرتُ تلقائياً بمحاذاة ضفة النهر آملاً في العثور على ممرٍ للعبور، حتى بلغتُ أضيق نقطة فيه. كان هناك جسرٌ بدائي مصنوع من القصب يمتد فوق النهر؛ فوضعتُ ثقتي في الرعاية الحامية لـ "المهاتما" -الذي قادني إلى هذه النقطة- وقررتُ خوض المغامرة. وقبل أن أدرك مدى خطورة الموقف، وجدتُ نفسي قد عبرتُ إلى الضفة الثانية.

عدتُ هنا لأواجه مجدداً تضاريسَ صاعدةً وهابطة، وبينما كنتُ أشعر بإرهاقٍ شديد، لاحت أمام ناظري بحيرةٌ واسعة، تزدان

ضفافُها بمجموعاتٍ من الأشجار الجميلة، وتتناثر على شاطئها بيوتٌ بُنيت بطريقةٍ بدائية؛ وحين اقتربتُ أكثر، تبين لي أنها مأهولةٌ بالسكان[84].

دفعني العطشُ والجوعُ إلى دخول أقربِ بيتٍ إليّ، فاستقبلني قاطنوه جميعاً بترحيبٍ حار، ودعوني لمشاركتهم وجبتهم. وبعد ذلك، ألبسوني رداءً وغطاءً للرأس باللون الأصفر الشاحب، ثم ارتدوا هم أيضاً ملابسَ مماثلة، واصطحبوني إلى المعبد الصخري في "هوستهاغري"[85] حيث كانت مفاجأتي عظيمةً وغمرتني فرحةٌ لا توصف حين وجدتُ "المهاتما كوت هومي" جالساً أمام المذبح، على المقعد المنخفض ذاته الذي رأيتُه عليه من قبل. سجدنا جميعاً أمامه، وهكذا انتهت هذه الرؤيا المثيرة للاهتمام.

في أواخر شهر أغسطس من عام 1884، كنت منشغلاً بالصلاة كعادتي، حين ظهر شعاعٌ من نورٍ ذهبيّ، ووقف "المهاتما" وسط ذلك الضوء بكل بهائه وجلاله. ثم مضى مبتعداً، فتبعته عن كثب، وبعد أن قطعنا المسار ذاته عبر الجبال -كما حدث في المرات السابقة- اختفى عند البحيرة. لم

---

[84] لم يكن بوسع المُراسل أن يصف المكان بدقة أكبر، حتى لو كان قد رآه بعينيه. ولو أنه ثابر قليلاً وتوغّل لمسافة قصيرة ثانية، لربما وقع بصره على بقعةٍ لا يُسمح بزيارتها إلا للمُطّلعين على الأسرار. ولعل مساره قد حُرِفَ أثناء الطريق، وذلك ربما للحيلولة دون اقترابه من ذلك المكان. ـــ مُحرر مجلة «الثيوصوفي» [تي. سوبا رو] ...

[85] 'Husthagerry'.

يكن هناك أحدٌ يقطن على ضفاف تلك البحيرة، وكانت المنازل جميعها خالية.

دون أن أعرف السبب أو الدافع، حاولت الوصول إلى المعبد الصخري، لكنني ضللت طريقي. وبعد اجتياز جبالٍ عديدة ووديانٍ خطرة، وصلت إلى هضبةٍ فسيحة، ولمحت من بعيدٍ مجموعةً من الأشجار العالية البديعة، وفي ظلها كان يقوم بيتٌ أنيقٌ يواجه الشرق. قصدتُ ذلك المكان، وعند مدخله رأيت "المهاتما ك. هـ." جالسًا بمفرده، فأوحى إليّ حدسي بأنه منزله الخاص[86].

ذكرتُ هذه الرؤية الغريبة للسيد دامودار ك. مافالانكار، فأخبرني بأنه ينبغي عليّ محاولة استجلاء المزيد؛ وهو ما عقدتُ العزم على القيام به على الفور.

بعد ثلاثة أو أربعة أيام من هذه المقابلة، ظهرت لي الرؤية ذاتها؛ فإلى جانب منزل "المهاتما كوت هومي"، ظهرت مجموعة ثانية من الأشجار يقع تحتها منزل، وكانت المسافة بين المنزلين تبلغ ميلاً أو ميلين تقريباً. كما ظهر معبد صغير

---

[86] هذا وصفٌ صحيحٌ -في حدود ما يتناوله- لمنزل "المهاتما". - محرّر مجلة "الثيوصوفي" [تي. سوبا رو]. لمعرفة المزيد حول منازل المعلّمين "كوت هومي" و"موريا"، طالع الملحق 2 (ص 91-96) في هذا الكتاب. دانيال ه. كالدويل.

ذو قبة دائرية في منتصف المسافة بينهما. ومن خلال الحدس، أدركت أن هذا المنزل الثاني يخص "المهاتما موريا"[87].

لم يجرِ أي تبادل للكلمات بين المهاتما وبيني في أيٍّ من تلك الرؤى.

أعتذر، فأنا لست فناناً، وإلا لكنت رسمت مشهد المنزلين، مع ذلك المعبد البديع الذي يتوسط المسافة بينهما[88].

---

[87] يتطابق هذا الوصف مع وصف منزل «المهاتما» الآخر، المعروف لدى الثيوصوفيين. ـــ محرّر مجلة «الثيوصوفي» [تي. سوبا رو]. للمزيد عن بيوت المعلمين كوت هومي وموريا راجع الملحق 2 (ص 91-96) في هذا الكتاب.

[88] ملاحظة: تم تجميع الفصل الخامس أعلاه وإعداده استناداً إلى مقالتين بقلم سي. راميا: "أحلام حول المهاتما تتحقق"، ملحق للمجلة الثيوصوفية، سبتمبر، 1884، الصفحات من 125 إلى 126. و"خبرات بسيكولوجية" ملحق الثيوصوفي، أكتوبر 1884، الصفحات 138-139. دانيال ه. كالدويل.

الفصل السادس

تجاربي مع المهاتما

بقلم بهافاني شانكار[89]

إن الهجوم الأخير الذي شنه المبشرون المسيحيون - المرتبطون بـ - مجلة الكلية المسيحية- بهدف إثبات زيف الظواهر الغيبية (الباطنية) من خلال نسبها إلى حيلٍ احتيالية مارستها السيدة بلافاتسكي، يفرض عليّ واجباً يتمثل في سرد بعض تجاربي الشخصية؛ وذلك ليتسنى للجمهور المثقف تكوين استنتاجاتهم الخاصة حول هذه الظواهر، بعد موازنة كافة الأدلة المؤيدة والمعارضة لصحتها.

لقد بدأت تجربتي مع هذه الظواهر في وقت مبكر يعود إلى عام 1881، حين كان المقر الرئيسي للجمعية الثيوصوفية لا يزال في بومباي، قبل نقله إلى أديار في مدراس (الهند). وخلال وجودي في بومباي، أتيحت لي فرصٌ عدة لزيارة مقر الجمعية في منطقة "بريتش كاندي".

في إحدى الليالي، وبينما كنت أجلس مع بعض أصدقائي بالقرب من السيدة بلافاتسكي في الشرفة المفتوحة الملاصقة لغرفة كتابتها، جاء "مهاتما" - كان موجوداً حينها بالقرب من

---

[89] **Bhavani Shankar.**

بومباي- ماشياً عبر الحديقة الملحقة بمنزل العقيد أولكوت، ووقف صامتاً بجوار شجرة على مسافة تتراوح بين ثمانية وعشرة ياردات منا. نزلت السيدة بلافاتسكي حينها عبر الدرج الخشبي المؤدي إلى الحديقة، واقتربت من المهاتما، ثم حييته بأن لمست ظهر يديه بكفيها المفتوحتين. ناولها المهاتما طرداً صغيراً ثم اختفى. بعد ذلك، صعدت السيدة بلافاتسكي مجدداً وفتحت الطرد، فإذا به يحتوي على رسالة قادمة من الله أباد.

كان الظرف المعنيّ خالياً تماماً من أي عنوان، لكنه حمل الختم الرسمي لمكتب بريد "الله أباد" بتاريخ 3 ديسمبر 1881، والختم الرسمي لمكتب بريد "بومباي" بالتاريخ نفسه، أي 3 ديسمبر. وتفصل بين المدينتين مسافة ألف ميل.

وفي ليلة مقمرة، بتاريخ 13 يوليو 1881، كنا نجلس كعادتنا نتحدث مع السيدة "بلافاتسكي" في الشرفة ذاتها. وكان السيد والسيدة "كولومب" حاضرين في المكان، إلى جانب جميع المقيمين في المنزل وخادم السيدة "بلافاتسكي". وبينما كنا نتحاور معها، ظهر "المهاتما كوت هومي - المعروف بكونه مُراسل السيد "سينيت" وصاحب الرسائل المنشورة في كتاب "العالم الغيبي" بهيئته المزدوجة أو مايِعرف بمصطلح (القرين) وبقي ظاهراً لبضع دقائق. كان يرتدي زياً أبيض على طراز أهل البنجاب، ويعتمر عمامة بيضاء. وقد تمكن جميع الحاضرين في تلك اللحظة من رؤية ملامحه الوسيمة بوضوح تام، بفضل ضوء القمر الساطع في تلك الليلة.

في الليلة نفسها، كُتبت رسالةٌ موجّهة إلى "الروحاني اللندني" تتناول رؤيتنا لـ "المهاتما". وبينما كنا نقرأ تلك الرسالة، ظهر "المهاتما" ذاته مجدداً. وفي هذه المرة الثانية، كان قريباً جداً منا، على مسافة ياردة أو ياردتين تقريباً. حينها، قال السيد والسيدة كولومب: "ها هو أخونا"، قاصدَين بذلك "المهاتما". ثم دخل "المهاتما" إلى غرفة السيدة "بلافاتسكي"، وسُمع وهو يتحدث إليها، قبل أن يختفي.

وقّع السيد كولومب والسيدة كولومب على الرسالة التي أُعدّت لتُرسل إلى مجلة الروحاني اللندني، والتي تشهد بأنهما قد رأيا "المهاتما". وبما أن السيدة كولومب تزعم الآن أن "المهاتما" ليسوا سوى "ترتيبات ماكرة من قماش الموسلين والمثانات"، وأن زوجها هو من تقمّص شخصية "المهاتما"، فكيف يمكننا التوفيق بين هذا الادعاء وبين حقيقة أنه في التاسع عشر من أغسطس عام 1881، ظهرت رسالةٌ في مجلة الروحاني اللندني تحمل توقيع خمسة شهود - بمن فيهم أنا - يشهدون فيها بأنهم رأوا "المهاتما" أثناء كتابتهم لتلك الرسالة؛ وهي وثيقةٌ تحمل أيضاً توقيع كلٍّ من السيد والسيدة كولومب؟

إذن، لا شك في أن عائلة كولومب كانت ضمن المجموعة التي وقّعت على الوثيقة. فمن ذا الذي ظهر في تلك المناسبة بصفته «مهاتما»؟

بالتأكيد، لم يكن الأمر يتعلق بالسيد والسيدة كولومب -بما استخدماه من "قماش الموسلين والمثانات"- ولا بخادمة السيدة "ب" التي كانت حاضرة أيضاً، بل بـ "الموذج

المزدوج" (قرين) لشخص يعيش على الجانب الآخر من جبال الهيمالايا.

رأينا ذلك الكيان، وهو يقترب من غرفة مدام بلافاتسكي، «يطفو في الهواء»؛ كما سمعناه بوضوح وهو يتحدث إليها، في حين كنا جميعاً - بمن فينا خادمها وعائلة كولومب - مجتمعين معاً في آنٍ واحد.

في شهر مارس من عام 1882، وبينما كنت أقيم في منزل السيد "سينيت" في مدينة "الله أباد"، وقعت بعض الظواهر الخارقة للطبيعة بمعزل عن السيدة "بلافاتسكي"، التي كانت آنذاك في "بومباي". وفي إحدى الأمسيات، سلمني السيد "سينيت" رسالةً موجهةً إلى معلمي كوت هومي.

فأخذتها معي إلى غرفتي ووضعتها بالقرب من وسادتي. وقد اتخذتُ كافة الاحتياطات بإحكام إغلاق جميع الأبواب الزجاجية للغرفة التي يقع فيها سريري، ثم وضعتُ مصباحاً بجانبي وشرعتُ في قراءة مقال بعنوان "إكسير الحياة"[90]. غير أنني لم أستطع تركيز انتباهي على قراءة ذلك المقال، إذ انصبّ كل اهتمامي بالكامل على الرسالة الموجهة إلى "المهاتما".

في وقت ما بين العاشرة والحادية عشرة ليلاً، اختفت هذه الرسالة؛ فقد رأيتُ مُعلّمي وهو يغادر الغرفة حاملاً إياها، علماً بأنها كانت موضوعة بالقرب من وسادتي. كانت أبواب الغرفة

---

[90] **Elixir of Life.**

مُحكمة الإغلاق، وكان هناك ضوءٌ مُضاءٌ بجانب سريري، ولم يكن في الغرفة أحدٌ سوانا. وفي صباح اليوم التالي، حين استيقظتُ، وجدتُ تحت وسادتي رداً من مُعلّمي موجّهاً إلى السيد "سينيت"، فقمتُ بتسليمه إياه.

وهكذا، خلال إقامتي القصيرة في الله أباد مع السيد سينيت، تواصلتُ بشكل مستقل مع "معلّمي" في الوقت الذي كانت فيه السيدة بلافاتسكي في مكان آخر من الهند.

ومن الله أباد عُدتُ إلى بومباي. وبعد أن مكثتُ في المقر الرئيسي في بومباي لمدة أسبوع تقريباً، غادرتُ متجهاً نحو الشمال في أبريل 1882. ومنذ ذلك الحين، وأنا أعمل في المناطق الشمالية. وبصفتي "حاجاً"، كان عليّ التنقل من مكان إلى آخر. وقد تعمدتُ عدم إطلاع السيدة بلافاتسكي أو العقيد أولكوت على تحركاتي، وذلك لأسباب خاصة. وخلال رحلاتي في الشمال، تلقيتُ رسائل مباشرة من "معلّمي" - بشكل مستقل تماماً عن أي شخص آخر- كما رأيتُ "المهاتما" في هيئاتهم المزدوجة (أجسادهم المايافية).

- "في الثامن من نوفمبر عام 1883، كنت في مدينة "باريلي الواقعة في المقاطعات الشمالية الغربية- حيث كنت منخرطاً في حديث خاص مع صديق أوروبي لي حول بعض المسائل المتعلقة بالفلسفة الثيوصوفية. وفي ذلك الوقت، كانت بحوزتي حقيبة مراسلات معلقة على كتفي، وكنت أحرص على ألا يلمسها أحد؛ لاحتوائها على مراسلات خاصة. كما كنت أولي

عناية فائقة لإقفالها داخل حقيبة ثانية (من النوع المصنوع من السجاد) كلما نزعتها عن كتفي.

بينما كنت أتحدث مع ذلك الصديق، تلقيت رسالة مباشرة من "معلّمي" داخل مظروف صيني، وجدته في حقيبة المراسلات التي كانت ترافقني دائماً. كانت الرسالة تتناول موضوعاً كنت أفكر فيه في ذلك اليوم، وتضمنت توجيهات حول كيفية العمل، وما إلى ذلك. أطلعتُ بعض الأصدقاء الحاضرين حينها على الرسالة؛ وكان نصها مكتوباً بخط يده المعهود، باستخدام قلم رصاص أزرق. فجميع الرسائل التي تصلني منه - سواء تسلمتها مباشرة أو عن طريق شخص آخر- تحمل الخط ذاته.

في شهر يناير من عام 1884، كنت في جوبالبور، حيث أقمتُ لدى الأخ نيفاران شاندرا موكرجي[91]، الذي كان يشغل آنذاك منصب سكرتير "جمعية بهريغو كشيترا الثيوصوفية"[92]. وفي إحدى الليالي، وبينما كنت برفقته، شرعتُ في شرح مقال "إكسير الحياة" لنحو سبعة وعشرين عضواً من أعضاء ذلك الفرع، وكانوا يستمعون إليّ باهتمام بالغ.

فجأة، ساد صمتٌ أشبه بالموت لبعض الوقت. ثم شعرتُ بتأثير "المعلم موريا" -المعلم المُبجَّل لدى مدام بلافاتسكي- وكان تأثيراً قوياً للغاية لدرجة أنني لم أستطع تحمُّله. إن التيار الكهربائي الناتج عن بطارية كهرومغناطيسية لا يُعد شيئاً إذا

---

[91] **Nivaran Chandra Mookerjee.**

[92] **Bhrigu Kshetra Theosophical Society.**

ما قورن بالتيار الذي تولّده الإرادة المُدرَّبة لأحد "الحكماء" (الأديبت)[93]. فعندما يرغب "المهاتما" في الكشف عن وجوده لـ "شيلا" (تلميذ)، فإنه يرسل تياراً كهربائياً إليه ليُنبئه باقترابه؛ وهذا هو التأثير الذي شعرتُ به في تلك اللحظة.

بعد بضع دقائق، حضر "المهاتما" (معلّم السيدة "ب") فعلياً في الغرفة التي عُقد فيها اجتماع الأعضاء، وقد رأيتُه أنا والأخ "نيفاران"، بينما اكتفى بعض الأعضاء الآخرين بالشعور بحضوره. ولو أنه تجسّد بشكل أكثر وضوحاً ومادية، لتمكّن جميع الأعضاء من رؤيته بوضوح أكبر بكثير.

لقد رأيتُ المهاتما ذاته ـــأي مُعلِّم السيدة "ب"- في هيئته المزدوجة عدة مرات أثناء رحلاتي في الشمال. ولم يقتصر الأمر على رؤيتي لمُعلِّم السيدة "ب" في هيئته المزدوجة فحسب، بل رأيتُ أيضاً مُعلِّمي المُبجَّل "كوت هومي" كما رأيتُ هذا الأخير - أي مُعلِّمي- في جسده المادي وتعرَّفتُ عليه.

إن كل التجارب المذكورة أعلاه، التي خضتها في الشمال -بعيداً عن مدام بلافاتسكي أو العقيد أولكوت، اللذين لم يكونا على علم بتحركاتي- كافية لتُبيّن للجمهور المُثقّف والمُنصف أن هذه الظواهر الغيبية حقيقية. ولا يهمني إن كانت هذه الحقائق المجرّدة ستُقنع أولئك الذين -بدلاً من أن يكونوا باحثين عن

[93] Adept.

الحقيقة- مستعدّون لطمسها واضطهاد من يكشفون عنها للعالم[94].

ملاحظة: الفصل السادس أعلاه مُعاد طبعه من كتاب هارتمان، فرانز، [94] محرر. تقرير عن نتائج تحقيق في التهم الموجهة ضد مدام بلافاتسكي من قبل مبشري الكنيسة الحرة الاسكتلندية في مدراس، وفُحصت من قِبل لجنة عُيّنت لهذا الغرض من قِبل المجلس العام للجمعية الثيوصوفية. مدراس، الهند: الجمعية الثيوصوفية، 1885، ص 75-80. دانيال ه. كالدويل.

الفصل السابع

الذكريات الشخصية عن بلافاتسكي ومعلميها

بقلم جي. سوبيا تشيتي[95]

في أحد أمسيات شهر أبريل من عام 1882، وبينما كنت عائداً من مكتبي، لاحظت حشداً كبيراً بالقرب من قاعة باتشياباس[96] في مدراس. كانت هناك عربات كثيرة بانتظار أصحابها، ومن بينها عربة والدي. وعند الاستفسار، علمت أن محاضرةً سيُلقيها رجل أمريكي يُدعى العقيد هنري إس. أولكوت، حول موضوع "الأساس المشترك للأديان".

كان وجود والدي كفيلاً بأن يؤكد لي أن المحاضرة تستحق الاستماع إليها، فعقدت العزم على الاستفادة منها. ورغم أن الحشود كانت خانقة، فقد تمكنت من الظفر بمكان جيد بما يكفي لسماع كل كلمة قيلت. وكما توقعت، كانت المحاضرة ممتعة للغاية وغنية بالمعلومات.

عند عودتي إلى المنزل، اكتشفت أن والدي كان من بين القلة الذين دعوا العقيد أولكوت والسيدة بلافاتسكي إلى مدراس، بهدف تأسيس فرع للجمعية الثيوصوفية في هذه المدينة. وبعد

---

[95] G. Soobiah Chetty.
[96] Pachiappas Hall.

الحصول على موافقة والدي، تقدمت أنا وشقيقي ناراسيمولو بطلبين للعضوية في صباح اليوم التالي (27 أبريل 1882). وكان قد وصل بالفعل أكثر من 20 طلباً آخر.

في المساء التالي، وبينما كان العقيد أولكوت يوجه حديثه إلى المتقدمين، أشار إلى "محفل الحكماء الأبيض العظيم" الذي يضم "المعلمين" وذكر أن أحد أعضاء هذه الجماعة الجليلة يقيم على مسافة مئة ميل من مدراس.

بعد ثلاثة أيام، طلب والدي مني ومن أخي الذهاب إلى "تيروفيلوم" لاتخاذ الترتيبات اللازمة لاستقبال المؤسسين وعدد قليل من الأصدقاء الذين اختيروا لمرافقتهم. وقيل لنا إن الغرض من الزيارة هو تقديم التحية شخصياً إلى "المعلم" الذي كان يقيم في مكان ما بالقرب من تلك القرية.

في صباح يوم الأحد التالي، وصلوا جميعاً. وقد رافقت الموكبٌ الموسيقى ومرافقة كلاً من "إبلافاتسكي" والعقيد "أولكوت" إلى المكان المخصص لإقامتهما.

انتظرنا بعض الوقت بانتظار أن يُقال لنا متى نستعد للذهاب إلى "الأشرم"[97]، ولكن - ويا لخيبة أملنا - قيل لنا بعد انتظار طويل

---

[97] **Ashram.**

إننا لن نتمكن من الذهاب؛ فـ "العظماء" لا يظهرون أمام حشد من عامة الناس مثلنا[98].

انتشرت شائعات لاحقة مفادها أن بلبلسكي وسوبا رو فقط هما من حظيا بشرف الذهاب إلى هناك حتى الكولونيل أولكوت لم يتمكن من الذهاب.

في حوالي الساعة الخامسة مساءً، خرجت "بلافاتسكي" من مكان إقامتها. تجولنا في أرجاء القرية، واقترحنا زيارة "المعبد القديم" الواقع على ضفة النهر. كانت أمسيةً جميلة يغمرها ضوء القمر؛ فجلسنا على مجرى النهر -الذي كان جافاً تماماً- حتى قرابة الساعة الثامنة مساءً. تحدثت "بلافاتسكي" في مواضيع شتى، وكانت أحاديثها في غاية الإثارة والاهتمام. ثم افترقنا على أن نلتقي مجدداً في الساعة العاشرة مساءً.

ثم اجتمعنا في الشرفة المفتوحة أمام مكان الإقامة. دار نقاش حول من ينبغي اختياره لتولي رئاسة فرع "مدراس"، وفجأة نهضت "بلافاتسكي" وأمسكت بيدي "سوبا راو" كلتيهما. ساد صمتٌ لبضع دقائق، ثم سُمع صوت حفيفٍ يشبه صوت تحريك ورقة؛ وبعد ذلك، لاحظنا ورقةً تسقط من السقف.

---

[98] قد يسأل البعض: (بما أن الحكماء قد ظهروا لأكثر من ثلاثين شخصاً كحالات فردية أو لمجموعة لاتتعدى أربعة أشخاص، فلماذا لايظهرون لحشد كبير؟). قال جودج: (لو ظهر الحكماء علانية للحشود، فإن بعضهم سيعتبروهم آلهة، بينما أن البعض الآخر سيعتبرونهم مجانين ويريدون وضعهم بمصحة عقلية) المترجم.

كانت رسالةً من المعلّم موريا. قرأتُها؛ ولا أستحضرُ الآن الكلماتِ الدقيقةَ التي وردت فيها، لكنها تضمنت إشارةً إلى "ديوان بهادور ناغانادان راو"[99]، الذي انتُخِبَ لاحقاً رئيساً لفرع مدراس. عُدنا إلى مدراس في صباح اليوم التالي (الاثنين).

في يوم الأربعاء التالي، توجهت بلافاتسكي إلى المدينة؛ فالتقت بي بينما كانت تمر في طريق "ماونت رود". أوقفت عربتها، كما أوقفتُ عربتي أنا أيضاً. نزلتُ على الفور وذهبتُ إليها، فقالت لي أنها كانت ستغادر إلى نيلور وغونتور يوم السبت، وطلبت مني مرافقتها. أخبرتها بأن الحصول على إجازة قد يكون أمراً صعباً، وأن ذهابي يعتمد على إمكانية ذلك. لكنها أصرت على مرافقتي لها، وقالت إن هذه رغبة "المعلم".

تقدمت بطلب للحصول على إجازة في صباح اليوم التالي، لكنه قوبل بالرفض. أبلغتها بذلك، ولأنني لم أتلقَّ منها أي رد حتى صباح السبت، ظننت أن وجودي غير مرغوب فيه.

لا، فقد كان مقدراً للأمور أن تسير على نحوٍ آخر. ففي طريقها إلى محطة «بوت باسين» ـــحيث كانت تنتظرها سفينةٌ لتقلها إلى نيلورـــ مرّت بوالدي وطلبت منه ألا يقف عائقاً أمام ذهابي معها. وبعد شيءٍ من التردد، رضخَ ووافق على ذلك.

وصلنا إلى نيلور في مساء اليوم الثالث.

---

[99] Dewan Bahadur Naghanadhan Row.

وفي صباح اليوم التالي، كانت "ه.ب.ب" تتحدث إلى أصدقاء جاؤوا لزيارتها، وسألت عن التاريخ. قلتُ إن وجود تقويم قد يكون مفيداً. نظرت إليّ لدقيقة أو دقيقتين، ثم سُمع صوتٌ يشبه سقوط شيء ما من السقف؛ لقد سقطت على طاولة بلافاتسكي - التي كانت تبعد عنا مسافة تتراوح بين 15 و20 قدماً - مفكرةٌ لعام 1882.

تناولتُه. حاولت هي أن تفصح عن اسم الشخص الذي كانت تقصده، لكنها لم تنجح.

في ذلك المساء، تحدث العقيد أمام جمهور صغير عن التنويم المغناطيسي. وفي اليوم التالي، قُبِلَ نحو أربعين عضواً.

وبعد أيام، بدأنا رحلة العودة إلى مدراس؛ لا عبر قناة القوارب، بل عن طريق رينيغونتا ومنها بالقطار. غادرنا نيلور بعد حلول الظلام.

في صباح اليوم التالي، كان علينا عبور مجرى مائي واسع؛ كان المجرى جافاً وقاعه رملياً للغاية، مما جعل جرّ العربات أمراً شاقاً. نزلتُ أنا و«ألكوت» من عربتينا وساعدنا العمال في سحب عربة «إبلافاتسكي إلى الضفة الثامية.

علّق العقيد بأنني كنتُ المسؤول عن تغيير المسار هذا، وقال إنه ينبغي ألا أجلس بعد الآن مع «بلافاتسكي» في عربتها. لكنها سمعت ذلك، وأصرّت -كما كانت تفعل من قبل- على أن أجلس معها في عربتها. تبادلنا الحديث حول أمور شتى؛ كانت أحاديثها مُلهمة وذات مغزى، وقد استفدتُ منها كثيراً.

دار الحديث حول مقر جمعية بومباي الثيوصوفية، "كروز نست"[100]. قالت إنه منزل مستأجر؛ ثم سألتها إن كانت ستجعل مدراس مقراً للجمعية الثيوصوفية، إذا أمكن تأمين مكان مناسب. قالت إنها ستدرس اقتراحي، وستبلغني بقرارها بعد وصولها إلى مايلابور.

وصلنا إلى رينيغونتا في وقت متأخر جداً للحاق بالقطار المتجه إلى مدراس، فانتظرنا في قاعات الانتظار بالمحطة حتى صباح اليوم التالي. وفي نهاية المطاف، وصلنا إلى مدراس حيث كان في استقبالنا أصدقاءٌ جاؤوا لاستقبال المجموعة.

وعُقد في ذلك المساء اجتماع لفرع مدراس، طلبت فيه بلافاتسكي من العقيد أولكوت طرح الاقتراح المتعلق بنقل المقر الرئيسي إلى مدراس. وخلال طرحه للموضوع، أشار العقيد إلى أن الاقتراح قد يكون قابلاً للنظر فيه إذا ما قُدِّمت حوافز كافية.

تقدم ثلاثة أصدقاء، واعدين بالمساهمة بمبلغ 250 روبية لكل منهم في حال العثور على مكان مناسب. كانت تلك بداية جيدة، مما شجعني على المضي قدماً.

---

[100] Crow's Nest.

لم نضيع الوقت في البحث، وبحلول مساء اليوم التالي، كانت لدي معلومات عن عقار "حدائق هادلستون"[101] يقع بالقرب من مدراس، على ضفاف نهر أديار.

ثم تم الحصول على تفاصيل تتعلق بالسعر والمالك وما إلى ذلك. وتبيّن أن العقار مرهون مقابل 7500 روبية. وكان المالك على استعداد لبيعه مقابل 1000 روبية، مع بقاء هذا الرهن قائماً عليه. وبعد الاتفاق على السعر، طلبتُ أنا وشقيقي من "بلافاتسكي" و "أولكوت" معاينة العقار.

في الحادي والثلاثين من مايو، توجه المؤسسون - ومعهم أخي وأنا - بالسيارة إلى أديار. وفور وصولنا إلى المبنى الرئيسي، ترجلت بلافاتسكي وصعدت مباشرة إلى الطابق العلوي، بينما انشغل بقيتنا بتفقد الأكواخ الواقعة على ضفة النهر والمباني الملحقة وما إلى ذلك.

بعد بضع دقائق، أرسلت "ه.ب.ب"[102] في طلبي. صعدت إليها، فقالت: "يا سوبيا، يقول المعلّم: اشترِ هذا".

وقبيل مغادرتها مدراس متوجهةً إلى بومباي، كانت على يقين تام بأننا لن ندّخر جهداً لضمان حصول الجمعية على هذا العقار، وتحقيق رغبة المعلّم.

---

[101] Huddleston Gardens.

[102] H.P.B. Helena Petrovna Blavatsky

مرّ شهرا يونيو ويوليو دون إنجاز يُذكر، رغم المحاولات المتعددة لجمع التبرعات. وفي شهر أغسطس، تلقيت رسالة من "ه. ب. ب" فكتبتُ بدوري إلى السيد إيالو نايدو لأستفسر منه عما يعتزم فعله بالضبط. فأجاب بأنه لا يستطيع تقديم سوى 3500 روبية كقرض، وأنه ينبغي تدبير مبلغ الـ 5000 روبية المتبقي من مصدر آخر.

بعد أسبوعين، توسلتُ إلى والدي ألا يفوّت فرصةً سانحةً للغاية لتقديم المساعدة. لكنه رفض القيام بأي شيء يتجاوز المساهمة بمبلغ 250 روبية في عملية الشراء.

ولكن في حوالي الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي، اتصل بي وأخبرني بأنه سيمنحني 1500 روبية فور بزوغ الفجر. لم أستطع النوم بعد ذلك، وظللت أنتظر شروق الشمس بقلق. وحينها، سلّمني المبلغ المذكور مع توجيهات بشأن الصيغة التي يجب أن يُكتب بها الإيصال. وهكذا تم تقديم الدفعة المقدمة وتأمين العقار.

وفي السابع عشر من شهر نوفمبر الذي تلاه، سُدِّد المبلغ المتبقي وقدره 7000 روبية، وبذلك أُنجزت عملية الشراء.

ثم وصل كلٍ من بلافاتسكي والعقيد أولكوت (برفقة بافاجي، ودامودار، وآل كولومب، وبابولا - بلافاتسكي) إلى مدراس في التاسع عشر من ديسمبر عام 1882.

في بعد بضعة أيام من وصولهم إلى مقر الجمعية الثيوصوفية "أديار" -الذي كان قد اشتُرِيَ حديثاً- وفي صباح أحد الأيام،

كانت السيدة بلافاتسكي تقوم بإخراج محتويات أمتعتها، بمساعدة كل من دامودار، وكريشناسوامي (المعروف باسم "بافاجي")، وناراسيمولو (أخي)، وأنا. ومن بين الأغراض، عُثِرَ على صورتين؛ فأخذنا -أنا وناراسيمولو- نتفحصهما بتمعن، إذ تعرفنا في إحداهما على "سادو" (ناسك هندي) كنا قد رأيناه قبل بضع سنوات.

حين لاحظت بلافاتسكي أننا نعبث بالصور، منعتنا من ذلك، قائلة إنها صورٌ لـ «المعلمين".

قلتُ أنا وأخي إننا رأينا الشخصَ الممثَّل في إحدى تلك الصور.

أكدت بلافاتسكي أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً؛ لكن بعد أسبوعين، أُخبِرت بأننا رأينا بالفعل «المعلم موريا» في عام 1874، وأنه كان قد زار مدينة مدراس بجسده المادي.

طلبت منا أن نصف الزيارة. فقلنا لها إنه في صباح أحد الأيام الباكرة، دخل "سادو" (زاهد) إلى منزلنا دون سابق إنذار. كان رجلاً فارع الطول بشكل لافت، يرتدي ثوباً أبيض طويلاً وعمامة بيضاء، بشعر أسود ينسدل على كتفيه ولحية سوداء، ووقف عند المدخل. اقتربنا منه -أنا وناراسيمولو.

أتى ببعض الإشارات التي لم نفهمها، لكننا ظللنا نذكرها بوضوح تام. طلب قطعة نقدية واحدة؛ وحين توجهنا إلى صندوق النقود، وجدنا فيه قطعة واحدة بالضبط، فقدمناها له.

استدار وغادر المنزل، وتبعه ناراسيمولو وأنا. وفجأة اختفى، مما أثار دهشتنا البالغة؛ فلم نجد له أي أثر في الشارع. وكان هذا الاختفاء المفاجئ والغامض هو السبب في أن تظل تلك الزيارة راسخة في أذهاننا بعمق، لدرجة أننا ظللنا نتذكر تفاصيلها دائماً.

أضافت بلافاتسكي معلومةً مفادها أنه كان في طريقه إلى راميشوارام، أحد أهم أماكن الحج في الهند.

ثم في عام 1883، أمضت بلافاتسكي فصل الصيف في ضيافة الجنرال مورغان وزوجته في "مكان استراحتهم"[103] في "أوتاكاموند". وقد دعتني -أو بالأحرى وجهتني- للذهاب إلى هناك، فاستجبتُ للدعوة بكل سرور. ذهبتُ وأقمتُ معها هناك لمدة سبعة أو ثمانية أسابيع، حيث عشنا في المنزل ذاته.

سُررتُ باغتنام الفرصة التي أُتيحت لي، والتي منحتني امتيازاً نادراً؛ ألا وهو العيش لبعض الوقت تحت سقفٍ واحد مع بلافاتسكي، وتحت تأثيرها.

كانت لدى بلافاتسكي رغبةٌ عارمة في لفت انتباه ذوي المكانة المرموقة إلى "الثيوصوفيا" (الحكمة الإلهية)؛ ولهذا الغرض، عملت بجدّ ونجحت في نهاية المطاف.

في أحد الأيام، وبينما كنا نناقش كيفية الحصول على هذا الغرض، شعرنا بتأثير قوي للغاية؛ فقد ظهر "المعلم موريا"

---

[103] **The Retreat.**

في الغرفة. تجسّد المعلم بشكل جزئي، فتمكنت من رؤية هيئة غائمة، ورغم هذا الغموض، رأيت ذراعه بوضوح وهي تُقدّم شيئاً ما إلى "بلافاتسكي".

تبيّن أن حدسي -بأنّه جاء إلى هناك ليقدّم توجيهات حول كيفية تحقيق الغاية المنشودة- كان صحيحاً؛ فقد أكّدت لي بلافاتسكي ذلك.

زارت السيدة كارمايكل، زوجة العضو الأقدم في المجلس التنفيذي للحاكم، السيدة بلافاتسكي وسرعان ما أصبحت من الزائرات المتكررات. وفي أحد الصباحات، وبينما كانت السيدة كارمايكل على وشك المغادرة، طلبت منها السيدة بلافاتسكي خاتم الياقوت الذي كانت ترتديه؛ فقدمته لها، وبعد أن احتفظت به لبضع دقائق، أعادت إليها السيدة إبلافاتسكي خاتمين بدلاً من خاتم واحد.

أُصيبت السيدة كارمايكل بذهولٍ شديدٍ جعلها تعجز تقريباً عن الكلام، فغادرت على الفور. وتوجهت برفقة زوجها إلى الصائغ الذي كان قد باعها الخاتم الأصلي، وعرضت عليه الخاتمين ليقوم بفحصهما.

فحصها وقال إنها أصلية، وإن قيمة القطعة الثانية تفوق بكثير ما دُفع ثمناً للقطعة الأولى. وقد نال هذا رضاهم لدرجة أنهم لم يجدوا حرجاً في الكشف عن هذه الظاهرة المذهلة.

كان الرائد كيني هربرت، وهو رجلٌ ممتازٌ للغاية، السكرتير العسكري للحاكم، مسروراً جداً لدرجة أنه دعا بلافاتسكي

والعقيد أولكوت إلى العشاء. وسرعان ما أصبح صديقاً حميماً، وبفضل تعاونه وتعاون عائلة كارمايكل، تم ترتيب محاضرة عامة للعقيد. كان هناك جمهورٌ محترم، وحضر جميع الرجال ذوي المناصب. وقد لاقت المحاضرة استحساناً كبيراً.

في أحد تلك الأيام، زار أحد سكرتيري الحكومة هـ. ب. ب. لم تكن راغبةً في مقابلته في البداية، ولكن بعد إلحاحي أنا والسيدة مورغان، وافقت. تم اصطحابه إلى غرفة الزوار. وسرعان ما وصلت هـ. ب. ب. بعد انتهاء مراسم الترحيب المعتادة، سأل هذا الرجل هـ. ب. ب. عن عمرها. شعرت بالحرج ووجهت إليه بعض الأسئلة. سألته عما إذا كان قد درس الرياضيات يوماً ما، وما إذا كان قد درس الحساب، وما إذا كان يستطيع العد. هذه الأسئلة، التي طُرحت عليه تباعاً، حيرته، فأعطى أفضل إجابة ممكنة.

ثم أشارت إلى زاوية الغرفة جهة اليسار، وقالت: "سيد...، عُد الآن". كانت أجراس نورانية تدق، وبسرعة فائقة جعلت الرجل المسكين لا يتمكن من العدّ إلا حتى الرقم خمسة. أُتيحت له فرصتان إضافيتان، لكن النتيجة ظلت كما هي في كل مرة. عاد ذلك المسؤول الحكومي (سكرتير الحكومة) إلى منزله وهو يشعر بشيء من خيبة الأمل.

وبشكل عام، يمكن القول إن زيارة "أوتي"[104] كانت ناجحة ومُرضية، لكنها لم تخلُ من جوانب ثانية؛ فقد أثار هذا النجاح غيرة المبشرين المسيحيين.

كانت هناك أحداث كثيرة تُبيّن مدى عمق صلة "بلافاتسكي" بالمعلمين. وقد شهدنا نحن المقربين منها على هذه الحقيقة، ولا سيما العقيد "أولكوت"، و"دامودار"، ووالدي، وأنا شخصياً.

وفي أحد أمسيات شهر نوفمبر عام 1883، تلقت (بلافاتسكي) -حين كانت في مقر الجمعية الثيوصوفية في مدراس- برقيةً من العقيد "أولكوت" -الذي كان آنذاك في جولة بشمال الهند- يُبلغها فيها بأن "دامودار" قد اختفى فجأة، دون أن يترك أي أثرٍ يدل على وجهته.

عند تلقّي الرسالة، اتجهت "ه.ب.ب" إلى طاولتها وجلست بهدوء. وفجأة، تغير "شعور" المكان، فأدركت على الفور أن أمراً غيبياً على وشك الحدوث. جلستُ بجانبها والتزمت الصمت التام.

بدأت في تدوين بعض الكلمات التي كانت تُقال لها. سمعتُ أنا أيضاً الكلمات: "أبلغ أولكوت ألا يسمح لأحد -أي طرف ثالث- بلمس أمتعة (دامودار)، ولا سيما..." -هنا حدث توقف. فسألت "ه.ب.ب": "لاسيما ماذا؟ فبادرتُ على الفور بذكر كلمة

---

[104] **Ooty.**

"فراشه"[105]. ثم تابعت الرسالة: "...ألا يسمح لأحد -أي طرف ثالث- بلمسها".

قالت ه. ب. ب. مازحةً: "يا سوبيا، أنت محق؛ فأنت أيضاً بدأت تصبح وسيطاً روحياً".

بالطبع كان المعلم هو من أوصل إليها تلك الرسالة، كما يحدث غالباً. ولم تكن تعلم أن دامودار قد ترك فراشه، الذي نادراً ما يسافر الهندوسي بدونه، إن سافر أصلاً.

وفي العام ذاته، ظهر «المعلم كوت هومي» في منزلي في «مايلابور». وفي صباح اليوم التالي، حين التقيت بالسيدة "ه.ب.ب" في «أديار»، أخبرتني بأن المعلم نفسه قد ظهر أمامها في الوقت ذاته تقريباً، وأهداها وروداً صفراء أرتني إياها. وجدير بالذكر أن الورود الصفراء كانت نادرة للغاية في ذلك الوقت؛ بل كان من المستحيل الحصول عليها في "مدراس".

تلقى والدي، الذي كان من المقرر أن يقضي عطلته في ذلك العام في نارايانا فارام، وهي قرية تبعد حوالي 80 ميلاً عن مدراس، رسالةً مكتوبةً باللغة التاميلية من المعلم كوت هومي، اقترح فيها المعلم على والدي أن يسعى لجمع التبرعات لجريدة السيد سينيت.

---

[105] سريره. المترجم.

وبناءً على ذلك، حشد والدي دعماً كبيراً لهذا المشروع، وتلقى الشكر من «الرجل العظيم» نفسه. غير أن خطة إصدار مثل هذه الصحيفة أُهملت لاحقاً.

لقد عانيتُ كثيراً من سوء المعاملة على يد "بلافاتسكي" في مناسبات عديدة؛ لكنني كنت أتحمل ذلك، لعلمي بطبيعتها.

في عام 1883 أو 1884، كنت أتردد يومياً على "أديار" قادماً من منزلي في "مايلابور"، حيث كنت أقضي الليل هناك ثم أغادر في الصباح الباكر.

وفي إحدى الأمسيات، حين وصلتُ، كانت هي جالسةً في مكانها.

أخذت "بلافاتسكي" ردائي (الشادر) الجديد، ولم تُعِدْه إليّ في صباح اليوم التالي. وبحلول ذلك اليوم، كانت قد حوّلته إلى بلوزة وارتدتها! شعرتُ بسعادة غامرة، وشكرتُها على منحِي شرف استخدام قماشي!

في أحد الصباحات، وبينما كنت على وشك المغادرة، قالت لي: "لا تذهب، لدي عملٌ أريدك أن تنجزه". أعطتني مجموعة كبيرة من الأوراق لأقوم بنسخها؛ كانت اثنتي عشرة ورقة من الحجم الكبير (فولسكاب). قمت بنسخها وسلمتها لها، فنظرت إليها، ثم كرمشتها وألقت بها في سلة المهملات؛ كانت في حالة من الغضب الشديد. عدت إلى منزلي ثم ذهبت إلى المكتب، لكنني لم أستطع إنجاز الكثير، إذ ظل تفكيري مشغولاً

بتلك الواقعة. وفي تمام الساعة الواحدة، أدركت فجأة أنني كنت قد كتبت على وجهي الورقة كليهما.

فسارعتُ إلى نسخه بالكامل مجدداً، مع الكتابة على وجه واحد فقط من الورقة، ثم قدّمتُه لها. وقُلتُ: "أظنُّ يا سوبيا أنكِ لن تكتب بعد الآن على وجهي الورقة إذا كان الأمر يتعلق بمواد مُعدّة للنشر. هذا درسٌ قيّمٌ لكِ، وسيُشعركِ بمسؤوليتكِ وواجبكِ".

في أحد الصباحات، وبينما كانت تتناول إفطارها، راحت تروي قصة طريفة للغاية؛ فظهر العقيد وعلق قائلاً: "تبدو السيدة العجوز في إحدى لحظات صفائها الذهني هذا الصباح". أدركت بلافاتسكي مغزى مزحته، فضحكت وواصلت سرد قصتها، غير مبالية بذلك التعليق الساخر.

أما إذا حدث أمر كهذا وهي في حالة غضب، فكان من المستحيل احتمالها؛ فكلما كانت العلاقة الشخصية أوثق، زادت حدة وقسوة كلماتها حين تسوء الأمور.

وثمة واقعة ثانية: كنت أصغر مساعديها في المكتب، وطلب مني أصدقائي أن أطرح عليها سؤالاً مهماً. في ذلك اليوم، كانت في غاية اللطف، فبدت فرصةً مناسبة لطرح السؤال.

قلت لها: "يا سيدتي، أنتِ تدعين إلى ضبط النفس والتحكم في الغضب، لكنكِ تقعين في نوبات غضبٍ عارمةٍ بين الحين والآخر"[106].

قالت بلافاتسكي:"يا سوبيا، هذه خسارتي ومكسبك. فلو لم أكن أملك ذلك الطبع الحاد، لكنتُ قد أصبحتُ حكيمة – مهاتما - بحلول هذا الوقت".

كانت بلافاتسكي شخصيةً فريدةً ذات مزاجٍ وطباعٍ متقلبة. وكانت تعاني من اعتلالٍ في صحتها. كانت تنفر من الأعراف التقليدية، وعبّرت عن رفضها لها بعبارات قوية. ومع ذلك، كانت في الغالب "أمّاً" ودودة للغاية؛ تروي قصصاً غريبة وساحرة ومسلية، وتلقي أحاديث تنطوي على دروس وعِبَر[107]

---

[106] تحدث الحكماء عن نوبات الغضب عند بلافاتسكي رغم طبيعتها اللطيفة وقالوا أن سبب ذلك هو تدريباتها الغيبية القاسية في التبت وهذا يحدث للجميع في الدايات. المترجم.

[107] ملاحظة: جُمع جي. سوبيا تشيتي، منها: «ذكريات عن إتش. بي. بي هذا الفصل السابع وأُعدّ استناداً إلى عدة مقالات كتبها جي. سوبيا تشيتي، منها: "ذكريات عن ه. ب. ب" المنشور في مجلة "الثيوصوفي" أديار، مدراس، الهند)، عدد مايو 1924، الصفحتان «. 245-244.

"شراء مقر أديار: ذكريات عن ه. ب. ب»، مجلة *الثيوصوفي* (أديار، مدراس، الهند)، مارس 1926، ص 741-747؛ «أوراق مذكرات قديمة»، *أديار نوتس آند نيوز*، 9 أغسطس 1928، ص 5-6؛ «في أيام ه. ب. ب: زيارة المعلم موريا" مدراس عام 1874»، *أديار نوتس آند نيوز*، 25 أكتوبر 1928، ص 2؛ «ذكريات عن ه. ب. بلافاتسكي»

الملحق 1

مدام بلافاتسكي تتحدث عن المهاتما

بقلم تشارلز جونستون

التقيتُ لأول مرة بـ "بلافاتسكي" العزيزة -وهو الاسم الذي كانت تصرّ على أن يناديها به جميع أصدقائها- في ربيع عام 1887. كان بعض مريديها قد استأجروا منزلاً جميلاً في منطقة "نوروود"، حيث تتلألأ القاعة الزجاجية الضخمة وبرجا "قصر الكريستال" وسط متاهة من الشوارع والشرفات. كانت لندن حينها في أوج حالتها التي يكسوها الغبار.

كانت "ه. ب. ب" توشك على إنهاء عملها اليومي، فقضيتُ نصف ساعة في الطابق العلوي مع سكرتيرتها المتطوعة، وهي تلميذة كانت تخدمها بتفانٍ لا حدود له.

وهكذا انقضت النصف ساعة، فنزلتُ إلى الطابق السفلي لأرى السيدة العجوز. كانت في غرفتها المخصصة للكتابة، تهمُّ بالنهوض عن مكتبها، مرتديةً إحدى تلك الأردية المنزلية ذات

مجلة *الثيوصوفي* (أديار، مدراس، الهند)، أكتوبر 1931، ص 47-49؛ و«عيد ميلاد بلافاتسكي»، مجلة *العالم الثيوصوفي* (أديار، مدراس، الهند)، أغسطس 1937، ص 173-174. دانيال إتش. كالدويل

اللون الأزرق الداكن التي كانت تحبها. أول ما لفت انتباهي - حين التفتت- كان تموُّجات شعرها، ثم عيناها اللتان تتمتعان ببريقٍ آسرٍ وقويٍ للغاية، وهي تستقبلني قائلة: "يا عزيزي! كم يسعدني رؤيتك! تفضل بالدخول لنتحدث! لقد جئت في الوقت المناسب تماماً لتناول الشاي!"، تلا ذلك مصافحةٌ حارة.

سألت "ه.ب.ب" - وهي ترتسم على وجهها ابتسامة يمتزج فيها التعجب بالمرح - قائلة: "بالطبع، لقد قرأت أنت تقرير جمعية الأبحاث النفسية أو 'جمعية الأبحاث الشبحية' - وتَّعَرف أنني جاسوسة روسية، وأنني أكبر محتالة في هذا العصر؟".

قلت: "نعم، قرأتُ التقرير. لكنني كنتُ على درايةٍ بمحتواه مسبقاً؛ فقد حضرتُ الاجتماع الذي تُلِيَ فيه التقرير لأول مرة، قبل عامين".

قالت بلافاتسكي وهي تبتسم مجدداً بفيضٍ من الدعابة: "حسناً، وما الانطباع الذي تركه ذلك الحملُ الوديعُ والمرحُ القادمُ من أستراليا [ريتشارد هودجسون] في قلبكِ سريع التأثر؟".

قلت: "استنتاجٌ عميقٌ للغاية. فقد خلصتُ إلى أنه شابٌ طيبٌ جداً، يحرص دائماً على العودة إلى منزله لتناول الشاي؛ كما أن الرب قد منحه قدراً كبيراً من الاعتزاز بالنفس. فإذا ما ترسخت فكرةٌ ما في ذهنه، فإنه يمضي في التمسك بها بكل هدوء، متجاهلاً تماماً أي حقائق قد تناقضها. ويبدو لي أن كل يظل راسخاً ما ذكره السيد "سينيت" في كتابه "العالم الغيبي تماماً، ولم ينله أيُّ زعزعةٍ جراء هذا التقرير برمته".

"هناك أمرٌ واحدٌ يتعلق بتقرير "جمعية الأبحاث النفسية" أريد منكِ توضيحه. ماذا عن الكتابة الواردة في الرسائل المتعلقة بالأمور الغيبية [رسائل "المعلمين]؟".

سألت بلافاتسكي -وقد بدا عليها الاهتمام على الفور-: «حسناً، وما شأنها؟".

"يقولون إنكِ أنتِ من كتبتها بنفسكِ، وإنها تحمل سماتٍ واضحةً تدل على خطكِ وأسلوبكِ. فما ردكِ على ذلك؟".

"دعني أوضح الأمر على هذا النحو"، أجابت بعد أن أطالت النظر إلى طرف سيجارتها. [هل سبق لك إجراء تجارب في نقل الأفكار؟ إذا كنت قد فعلت ذلك، فلا بد أنك لاحظت أن الشخص الذي يتلقى الصورة الذهنية غالباً ما يضفي عليها صبغةً من تفكيره الخاص، أو يغير فيها شيئاً يسيراً؛ وهنا بالضبط تكمن عملية نقل الأفكار في صورتها الحقيقية تماماً. حسناً، الأمر يشبه ذلك فيما يتعلق بالرسائل المُتَجَسِّدة (المُستحضرة مادياً). فأحد معلمينا -الذي ربما لا يعرف اللغة الإنكليزية، وبالطبع لا يملك أسلوباً في الكتابة اليدوية الإنكليزية- يرغب في تجسيد رسالةٍ تكون بمثابة ردٍ على سؤالٍ وُجِّهَ إليه ذهنياً. لنفترض، على سبيل المثال، أنه موجود في التبت، بينما أكون أنا في مدراس أو لندن؛ فهو يحمل في ذهنه الفكرة التي تشكل الرد، لكنها ليست مصاغةً بكلماتٍ إنكليزية. عليه أولاً أن يطبع تلك الفكرة في ذهني، أو في ذهن شخص آخر يتقن اللغة الإنكليزية، ثم يأخذ صيغ الكلمات التي تنبثق في ذلك الذهن الآخر استجابةً للفكرة. بعد ذلك، ينبغي

عليه تكوين صورة ذهنية واضحة للكلمات كما ستظهر في صيغتها المكتوبة، مستعيناً في استحضار أشكالها من ذهني - أو من ذهن الشخص المعنيّ-. ثم، سواء من خلالي أو عبر أحد المريدين (شيلا) الذين تربطه بهم صلة مغناطيسية، يقوم بتجسيد أشكال هذه الكلمات على الورق؛ إذ يرسل الأشكال أولاً إلى ذهن المريد، ثم يطبعها على الورق، مستخدماً القوة المغناطيسية للمريد لإتمام عملية الطباعة، بينما يستمد المادة -سواء كانت سوداء أو زرقاء أو حمراء، حسب الحالة- من "النور النجمي". بينما تتلاشى الأشياء جميعاً في النور النجمي، تستطيع إرادة الساحر أن تستحضرها من جديد. وهكذا، يمكنه استحضار ألوانٍ صبغية لرسم الأشكال داخل الحرف، مستعيناً بالقوة المغناطيسية للمريد (الشيلا) لتثبيت تلك الأشكال، وموجّهاً العملية برمتها بقوته المغناطيسية الأكبر بكثير؛ وهي تيارٌ من الإرادة القوية].

«يبدو هذا معقولاً تماماً» ، أجبتُ. «ألا تريني كيف يتم ذلك؟»

أجابت قائلةً، بأسلوب مباشر وواقعي تماماً: [ينبغي للمرء أن يتمتع ببصيرة خارقة ليتمكن من رؤية التيارات وتوجيهها. لكن بيت القصيد هو: لنفترض أن الرسالة تجسدت مادياً من خلالي؛ فمن الطبيعي أن تحمل بعض سمات تعبيراتي، بل وحتى أسلوبي في الكتابة، ومع ذلك، ستظل ظاهرةً غيبية (باطنية) حقيقيةً تماماً، وستكون رسالةً فعليةً من ذلك "المهاتما". علاوةً على ذلك، فإنهم يبالغون في تقدير مدى التشابه بين الخطوط. ثم إن الخبراء ليسوا معصومين من

الخطأ؛ فقد مررنا بتجارب مع خبراء جزموا -بكل ثقة- باستحالة أن أكون أنا من كتبت تلك الرسائل، وكانوا خبراء أكفاء أيضاً، لكن التقرير لم يأتِ على ذكرهم. وفضلاً عن ذلك، ثمة رسائل كُتبت بنفس الخط تماماً، وتجسدت مادياً في وقت كنتُ فيه على بعد آلاف الأميال؛ فقد تلقى الدكتور هارتمان أكثر من رسالة في 'أديار' بمدراس بينما كنتُ أنا في لندن، ومن ثم يستحيل أن أكون قد كتبتها. لكن، ألم تطلع أنت على بعض تلك الرسائل الغيبية؟ ما رأيك فيها؟].

"نعم»، أجبتُها؛ «لقد أطلعني السيد سينيت على ما يقارب رزمةً منها: وهي السلسلة الكاملة التي يستند إليها كتابا "العالم الغيبي" و"البوذية الباطنية" بعضها مكتوب باللون الأحمر، سواء بالحبر أو بقلم الرصاص، لكن الغالبية العظمى منها مكتوبة باللون الأزرق. ظننتُ في البداية أنه قلم رصاص، فحاولتُ مسحه بإبهامي، لكنه لم يُمحَ".

"بالطبع لن يَمحى!» قالت مبتسمة؛ «فاللون يتغلغل في سطح الورق. ولكن ماذا عن الكتابات؟".

"سأصل إلى ذلك. كان هناك نوعان: الكتابة بالحبر الأزرق والكتابة بالحبر الأحمر؛ كانا مختلفين تماماً عن بعضهما، وكلاهما كان مختلفاً كل الاختلاف عن خطك. لقد أمضيت وقتاً طويلاً في دراسة العلاقة بين خط اليد والسمات الشخصية، وكانت سمات الشخصيتين واضحة تماماً. فصاحب الخط الأزرق كان -بلا شك- رجلاً يتمتع بطباع هادئة ومتزنة، لكنه يمتلك في الوقت ذاته إرادة قوية للغاية؛ كان منطقياً، ومرناً في

تعامله، ويبذل جهداً دؤوباً ليوضح مقاصده بدقة. لقد كان، باختصار، خط رجلٍ مثقفٍ يتسم بقدرٍ كبيرٍ من التعاطف".

قالت بلافاتسكي مبتسمة: [وهذا ليس أنا؛ إنه المهاتما كوت هومي[108]، فهو كشميري[109] من طبقة البراهمة، كما تعلم، وقد سافر كثيراً في أوروبا. وهو مؤلف الرسائل الواردة في كتاب "العالم الغيبي" وهو الذي قدّم للسيد سينيت معظم المواد التي تكوّن كتاب "البوذية الباطنية" ولكنك قرأت كل ذلك].

"نعم، أتذكر أنه يقول إنكِ تطلقين صرخةً عبر الفضاء، بصوتٍ يشبه صوت طاووس "ساراسفاتي[110]". وهو بالتأكيد ليس النوعَ من الوصف الذي قد تطلقينه على نفسكِ".

"بالطبع لا»، قالت؛ "أنا أعلم أنني عندليب. ولكن ماذا عن الكتابة الثانية؟".

"اللون الأحمر؟ آه، ذاك أمرٌ مختلفٌ تماماً. إنه جامح، ومندفع، ومسيطر، وقوي؛ يظهر في هيئة ثوراتٍ بركانية، بينما يشبه الآخرُ شلالاتِ نياجرا. أحدهما نار، والآخر محيط. إنهما مختلفان كلياً، وكلاهما لا يشبه ما لديك على الإطلاق. لكنَّ الثانيَ أقربُ شبهاً بما لديك من الأول".

---

[108] Koot Hoomi.

[109] من مقاطعة كشمير. المترجم.

[110] Sarasvati.

قالت: "هذا هو مُعلّمي، الذي ندعوه ' المهاتما موريا[111]. ولديّ صورته هنا".

وأرتني لوحةً صغيرةً مرسومةً بالألوان الزيتية. وإذا كنتُ قد رأيتُ يوماً مشاعرَ حقيقيةً من الإجلال والتبجيل على وجه إنسان، فقد رأيتُها على وجهها حين كانت تتحدث عن "معلّمها". قالت إنه من "الراجبوت"[112]؛ وهم سلالةٌ من المحاربين القدامى في صحراء الهند، وتُعدّ من أرقى الشعوب وأكثرها وسامةً في العالم.

كان معلمها عملاقاً، يبلغ طوله ست أقدام وثماني بوصات، وكان يتمتع ببنية رائعة؛ إذ كان نموذجاً فائقاً للجمال الرجولي. وحتى في الصورة، تبدو قوة مذهلة وجاذبية آسرة؛ ففي ملامح وجهه تكمن قوة -بل ربما حدة- ظاهرة، وعيناه الداكنتان المتوقدتان تحدقان بك بجرأة تربكك، بينما تبدو ملامحه البرونزية محددة بوضوح، وشعره ولحيته بلون الغراب؛ وكل ذلك ينطق بقوة الرجولة. سألتها عن عمره، فأجابت:

"يا عزيزي، لا أستطيع إخبارك بدقة؛ فأنا لا أعلم. لكن بوسعي أن أقول لك هذا: التقيتُ به لأول مرة حين كنت في العشرين من عمري، كان ذلك في عام 1851. كان حينها في ذروة شبابه ورجولته. أما أنا فقد صرتُ امرأةً عجوزاً اليوم، لكنه لم

---

[111] Morya.
[112] Rajput.

يتقدم في العمر يوماً واحداً؛ إذ لا يزال في ذروة شبابه ورجولته. هذا كل ما يمكنني قوله، ولك أن تستنتج ما تشاء".

ثم أخبرتني بشيء عن معلمين وحكماء آخرين كانت تعرفهم. فقد عرفت خبراء من أعراق شتى، من شمال الهند وجنوبها، ومن التبت، وبلاد فارس، والصين، ومصر؛ ومن دول أوروبية مختلفة، كاليونان والمجر وإيطاليا وإنكلترا؛ ومن أعراق معينة في أمريكا الجنوبية، حيث ذكرت وجود محفلٍ لهؤلاء الحكماء[113].

'

[113] المصدر: جونسون، تشارلز. "هيلينا بيتروفنا بلافاتسكي". مجلة *ثيوسوفيكال فوروم* (نيويورك)، أبريل-يوليو 1900. أُعيد نشره في *المؤلفات الكاملة لهيلينا بيتروفنا بلافاتسكي*، المجلد الثامن، الصفحات 392-409.

الملحق 2

أين كان ذلك «الوادي في التبت»؟

بقلم دانييل إتش. كالدويل

اللوحة أعلاه مأخوذة من كتاب ماري ك. نيف «المذكرات الشخصية لـهـ. ب. بلافاتسكي» (لندن، دار رايدر وشركاه، 1937، مقابل الصفحة 146). وتُوصف هذه اللوحة -التي أطلقت عليها الآنسة نيف عنوان «وادي في التبت» - في كتاب سي. دبليو. ليدبيتر «المعلمين والمسار» (الطبعة الثانية، 1927) بأنها تصور مساكن المعلم «كوت هومي» والمعلم «موريا» في التبت.

بالاطلاع على السجلات التاريخية التي توثق حياة بلافاتسكي وبدايات الجمعية الثيوصوفية، نجد عدداً من الإشارات إلى هذه اللوحة ومنازل المعلمين. ترد هذه الوثائق بالأسفل.

في عام 1881، كتب العقيد هنري إس. أولكوت عن المعلمين:

لقد عرفتُ أيضاً بشكل شخصي... [المعلم كوت هومي] منذ عام 1875. إنه ينتمي إلى نمط مختلف تماماً، وأكثر رقةً، ومع ذلك فهو صديقٌ مقربٌ جداً للآخر [المعلم موريا]. وهما يعيشان بالقرب من بعضهما البعض، حيث يوجد معبد بوذي صغير في منتصف المسافة تقريباً بين منزليهما. وفي نيويورك، كان لدي... رسمٌ ملوّن على حرير صيني يصور المشهد الطبيعي بالقرب من مسكني... [كوت هومي] و"شوهان" الخاص بي [موريا]، ويظهر في الرسم لمحةٌ عن منزل الأخير وجزءٌ من المعبد الصغير. (مقتبس من: هيوم، أ. أو.، *إشارات حول الثيوصوفيا الباطنية*، العدد 1، الطبعة الثانية، كلكوتا، الهند: مطبعة كلكتا المركزية، 1882، ص 83).

وفي رسالة ثانية مؤرخة عام 1880، علّق العقيد أولكوت على ذلك "الرسم الملون على حرير صيني" ذاته. وإذ أشار إلى "معبد تبتي صغير"، كتب يقول:

"... ستَرى صورةً مطابقةً تماماً [للمعبد التبتي] في لوحةٍ ملوّنةٍ مرسومةٍ على الحرير، موجودةٍ على مكتبي في غرفة نومي؛ وهي لوحةٌ أوجدتها هي [ه. ب. بلافاتسكي] لي بطريقةٍ

سحريةٍ ذات يومٍ في نيويورك..." (مقتبس من: مافالانكار، دامودار ك.، «دامودار وروّاد الحركة الثيوصوفية»، أديار، مدراس، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1965، ص 158).

في عام 1881، قدّمت ه. ب. بلافاتسكي بنفسها مزيداً من المعلومات حول أماكن إقامة "المعلمين" وذلك في مقتطف من إحدى رسائلها جاء فيها:

يعيش 'موريا عادةً مع 'كوت هومي الذي يقع منزله في اتجاه جبال كاراكوروم[114] وراء منطقة لاداخ أو لاداك[115] - الواقعة في التيبت الصغرى والتي تتبع حالياً كشمير - إنه مبنى خشبي كبير، مصمم على الطراز الصيني ويشبه 'الباغودا'، ويقع بين بحيرة وجبلٍ جميلٍ. (نقلاً عن المنتدى الثيوصوفي) [بوينت لوما، كاليفورنيا][116].. عدد مايو 1936.

كتب دامودار ك. مافالانكار في عام 1881 ما يلي حول تجربة "الخروج من الجسد" التي مرّ بها:

(انتابني شعورٌ لطيفٌ للغاية، وكأنني أخرج من جسدي. لا أستطيع الآن تحديد مقدار الوقت الذي انقضى بين تلك اللحظة وما سأرويه تالياً، لكنني وجدتُ نفسي في مكانٍ فريد؛ في أقصى شمال كشمير عند سفح جبال الهيمالايا. رأيتُ أنني نُقِلتُ إلى موقعٍ لا يضم سوى منزلين متقابلين، دون أي أثرٍ آخر

---

[114] Kara Korum.
[115] Ladak.
[116] Point Loma, California.

لوجودٍ بشري. ومن أحد هذين المنزلين خرج... [المعلم] "كوت هومي"؛ فقد كان ذلك منزله. وفي الجهة المقابلة له، توقف [موريا]. أمرني الأخ – ك[117] - أن أتبعه. بعد مسافة قصيرة...بعد قطع مسافة تبلغ نحو نصف ميل، وصلنا إلى ممر طبيعي تحت الأرض يقع أسفل جبال الهيمالايا. يتسم هذا المسار بخطورة بالغة؛ إذ يوجد ممر طبيعي فوق نهر السند الذي يتدفق من تحته بكل عنفوانه. لا يتسع الممر إلا لشخص واحد في المرة الواحدة، وأي خطوة خاطئة تعني هلاك المسافر. وإلى جانب هذا الممر، ثمة وديان عدة ينبغي عبورها. وبعد السير لمسافة طويلة عبر هذا الممر الجوفي، وصلنا إلى سهلٍ مكشوف في - ل....ك -). مقتبس من: دامودار ك. مافالانكار، "دامودار ورواد الحركة الثيوصوفية"، دار النشر الثيوصوفية، أديار، مدراس، الهند، 1965، ص 60-61.

وفي وقت لاحق من عام 1884، روى سي. راميا في مجلة "الثيوصوفي" من سلسلة "رؤاه" وتجاربه المتمثلة في "الخروج من الجسد". وقد كتب قائلاً:

[في أواخر شهر أغسطس 1884 تقريباً، وبينما كنت منشغلاً بالصلاة كعادتي، ظهر شعاع من الضوء الذهبي، ووقف المهاتما [كوت هومي] وسط ذلك الضوء بكل بهائه. ثم تراجع إلى الوراء، فتبعته عن كثب... وبعد اجتياز جبال عديدة

---

[117] **Koot Hoomi.**

ووديان خطرة، وصلت إلى هضبة واسعة، ولمحت على مسافةٍ ما مجموعةً من الأشجار العالية البديعة، وفي ظلها كان يقوم بيتٌ أنيقٌ يواجه جهة الشرق. توجهتُ نحو ذلك البيت، وعند مدخله رأيت المهاتما "كوت هومي" جالساً بمفرده، فأوحى إليّ حدسي بأن هذا منزله الخاص. وقد ذكرتُ هذه الرؤيا العجيبة -فيما بعد- للسيد دامودار.ك. مالافانكار الذي أخبرني بأنه يجب عليّ أن أحاول رؤية ما يمكنني رؤيته أكثر؛ وقد اتخذتُ هذا القرار على الفور].

عند هذه النقطة من مقالة راميا، أضاف تي. سوبا رو، القائم بأعمال تحرير مجلة "الثيوصوفي" الحاشية التالية:

هذا وصفٌ صحيح، في حدود ما يذكره، لمنزل المهاتما [كوت هومي].

واصل راميا سرد قصته:

بعد ثلاثة أو أربعة أيام من هذه المقابلة، تجلت لي الرؤية ذاتها؛ إذ ظهرت -مقابل منزل المهاتما "كوت هومي" مجموعة ثانية من الأشجار، يقع تحتها منزلٌ آخر، وتفصل بين المنزلين مسافةٌ تبلغ ميلاً أو ميلين تقريباً. كما ظهر معبدٌ صغير ذو قبة دائرية في منتصف المسافة بينهما. ومن خلال الحدس، أدركتُ أن هذا المنزل الثاني يخصُّ مهاتما آخر.

وأضاف سوبا رو مجددًا الحاشية التحريرية التالية:

يتطابق هذا الوصف مع وصف منزل "المهاتما" الآخر [موريا]، المعروف لدى الثيوصوفيين.

أضاف راميا هذا التعليق:

أعتذر؛ فأنا لست فناناً، وإلا لكنت أرسلتُ إليك رسماً تخطيطياً لمشهد المنزلين، مع وجود ذلك المعبد البديع في منتصف المسافة بينهما.

مقتبس من: راميا، سي. «تجارب نفسية [الجزء الثاني]». ملحق مجلة "الثيوصوفي"، أكتوبر 1884، ص 139.

نختتم هذا الملحق بالتعليقات الثلاثة ذات الصلة من السيد ك.هـ[118]. إلى أ.ب. سينيت:

هذه [الرسالة] ليست مؤرخة من "محفل" بل من وادٍ في كشمير.

المصدر: رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت، الطبعة الزمنية (1998). الرسالة رقم 3ب، 20 أكتوبر 1880.

وصلت رسالتك الأخيرة [الرسالة 3ب، المؤرخة في 20 أكتوبر 1880] إلى غرفتي بعد نحو نصف دقيقة من تجهيز التيارات اللازمة لإتمام وتشغيلها بكامل طاقتها". عملية "إيصال الرسالة إلى الوسادة

الطبعة المرتبة زمنياً (1998). - من كتاب "رسائل المهاتما" الرسالة رقم 3ج، 20 أكتوبر 1880.

في الأيام الماضية... كنتُ في طريقي نزولاً عبر ممرات "كونلون" - أو "كاراكورم" كما تسمونها - حين رأيتُ انهياراً ثلجياً يتساقط. كنتُ قد

---

[118] كوت هومي. المترجم.

ذهبتُ بنفسي لمقابلة رئيسنا لأعرض عليه مقترح السيد "هيوم" المهم، وكنتُ في طريقي إلى "لاداخ" عائداً إلى دياري.

من كتاب "رسائل المهاتما" الطبعة الزمنية (1998) الرسالة رقم 5، بتاريخ 29 أكتوبر 1880.

الملحق 3

صور المهاتما

بقلم لورا سي. هولواي-لانغفورد[119]

وفقاً لما وعد به "المهاتما"، كان على السيد [هيرمان] شميتشن[120] -وهو فنان ألماني شاب كان يقيم في لندن آنذاك- أن يرسم صوراً لهم. وفي الموعد المحدد، اجتمع عدد من أعضاء الجمعية الثيوصوفية في مرسمه. وكان من أبرز الحاضرين في تلك الجلسة الأولى "ه. ب. ب" التي جلست في مقعدٍ مقابلٍ لمنصةٍ وُضع عليها حامل اللوحات الخاص بالفنان. وإلى جانبه على المنصة، جلس عدد من الأشخاص -كانوا جميعاً من النساء، باستثناء شخص واحد-. وفي أرجاء الغرفة، تجمعت مجموعة من الشخصيات المعروفة، الذين كانوا جميعاً يتابعون باهتمامٍ بالغٍ المسعى الذي شرع فيه السيد شميتشن.

إن أوضح ذكرى لذلك التجمع، والتي تظل حاضرةً دائماً في ذهن الكاتب، هي صورة السيدة بلافاتسكي وهي تدخن السجائر بهدوءٍ تامٍّ وهي جالسةٌ على مقعدها المريح، وإلى جانبها امرأتان على المنصة تدخنان أيضاً. كانت السيدة بلافاتسكي قد "أمرت" إحدى هاتين المرأتين بلفِّ سيجارةٍ وتدخينها، فنُفِّذ

---

[119] Laura C. Holloway-Langford.
[120] Hermann Schmiechen.

الأمرُ -وإن كان بترددٍ شديدٍ- إذ كانت تلك تجربتها الأولى، وكان يُتوقَّع حتى للتبغ المصري الخفيف المُستخدم أن يسبب لها الغثيان. لكن السيدة بلافاتسكي أكدت لها ألا شيء من ذلك سيحدث، وبتشجيعٍ من السيدة سينيت -التي كانت تدخن هي الثانية- أُشعلت السيجارة.

كانت النتيجة هدوءاً غريباً للأعصاب، وسرعان ما تلاشت أي رغبة في الالتفات إلى الأشخاص الموجودين في الغرفة، إذ لم يعد يسترعي انتباهها سوى حامل اللوحة ويد الفنان.

من الغريب حقاً أنه على الرغم من أن المدخنة الهاوية كانت تعتبر نفسها مجرد مراقبة، إلا أن صوتها هو الذي نطق بكلمة "مبتدئ"؛ فشرع الفنان على الفور في رسم ملامح رأس. وسرعان ما اتجهت أنظار جميع الحاضرين نحوه، بينما كان يعمل بسرعة فائقة.

بينما ساد الهدوء في المرسم وكان الجميع يتابعون عمل السيد شميتشن باهتمام بالغ، لمحت إحدى الحاضرات -التي كانت تدخن- هيئة رجل تتشكل بجوار حامل اللوحة. وفي الوقت الذي كان فيه الفنان، المنحني برأسه فوق عمله، يواصل رسم الخطوط، ظلت تلك الهيئة واقفة إلى جانبه دون أي إشارة أو حركة. فمالت نحو صديقتها وهمست قائلة: "إنه المعلم (كوت هومي)؛ إنه يُرسم الآن، فهو يقف بالقرب من السيد شميتشن.

"صِفي مظهره وملابسه"، نادت بلافاتسكي. وبينما كان الحاضرون في الغرفة يتساءلون عن سبب تعجب مدام

بلافاتسكي، أجابت المرأة التي وُجِّه إليها السؤال قائلة: "إنه في طول موهيني تقريباً؛ نحيل البنية، ذو وجهٍ رائعٍ يفيض نوراً وحيويةً، وشعرٍ أسودَ مجعدٍ ينسدل بحرية، ويعلوه غطاءٌ ناعمٌ للرأس. يبدو في هيئته كسمفونيةٍ من درجات الرمادي والأزرق. يرتدي زياً هندوسياً - وإن كان أرقى وأفخم بكثيرٍ من أي زيٍّ رأيتُه من قبل - كما يزدان ملبسه بحوافٍ من الفرو. إنه هو الشخص الذي يُرسم له هذا البورتريه، وهو بنفسه مَن يشرف على العمل".

كان موهيني -الذي كان الجميع ينظرون إليه بمحبة واحترام باعتباره التلميذ الموهوب لدى المعلمين الموقرين- يسير ببطء ذهاباً وإياباً، واضعاً يديه خلف ظهره، وبدا غارقاً في أفكاره. لم يلحظ حركاته سوى قلة؛ فقد كان في الجزء الخلفي من القاعة الفسيحة، وكانت خطواته بلا صوت. غير أن تلك المرأة -التي كانت تدخن على سبيل الهواية- تابعت تحركاته بنظرات فاحصة؛ إذ لاحظت تشابهاً في الهيئة بين الشخصية الروحانية للمعلم وبين موهيني نفسه، فضلاً عن تشابهٍ لافتٍ في أسلوبهما.

"كم يشبه موهيني المعلّم!»، هكذا همست لصديقتها التي كانت بجانبها؛ ثم التفتت نحوه فرأته يراقبها وعلى وجهه تعبيرٌ ينمّ عن قلقٍ بالغ. بادلتْه ابتسامةً طمأنتْه بها أنها لن تفشيَ المزيد من الأسرار، ثم ألقت نظرةً باتجاه الفنان، فالتقت عيناها بعيني المعلّم الذي كان يقف إلى جانبه.

كانت تلك النظرة مما لم تنسَه قط؛ فقد رسّخت في ذهنها قناعةً بأن ما اكتشفته حقيقةٌ واقعة، ومنذ ذلك الحين، شعرت بأن لديها ما يبرر اعتقادها بأن المعلم "المهاتما كوت هومي" و"موهيني" (التلميذ) تربطهما علاقةٌ أوثق مما كانت تظن من قبل؛ بل إن "موهيني" كان أقرب إلى "المعلّم" من أي شخصٍ آخر في الغرفة، بمن فيهم "بلافاتسكي" نفسها.

المهاتما كوت هومي

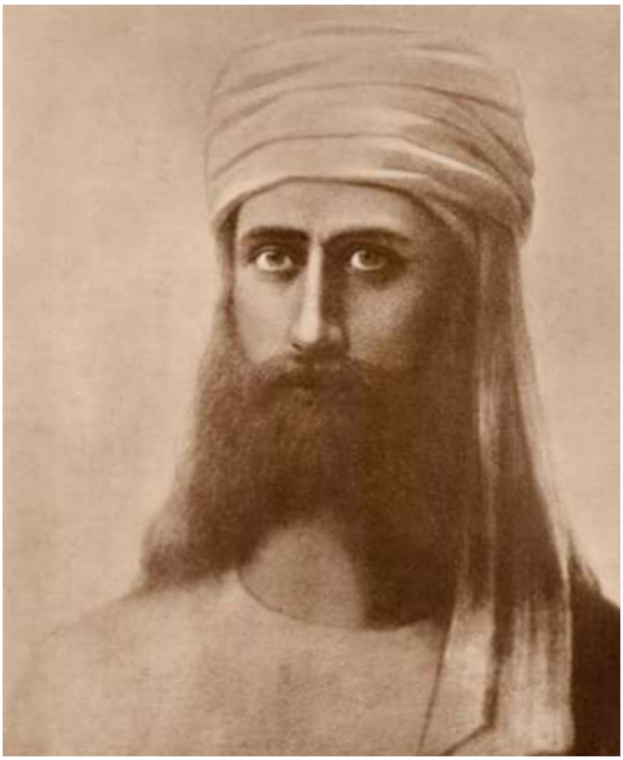

المهاتما موريا

وما إن تبلور هذا الاقتناع في ذهنها، حتى تلقت نظرةً خاطفةً من الكيان الظليّ الواقف بجوار حامل اللوحة؛ وهي النظرة الأولى والوحيدة التي وجهها لأي شخص طوال جلسة الرسم الطويلة. ثم ارتفع صوت "ه. ب. ب" الرخيم لتوجيه ملاحظة للفنان، وقد ظلت إحدى عباراتها عالقةً بوضوح في الذاكرة.

كانت كلماتها كالتالي: "احذر يا شميشين؛ لا تجعل الوجه مستديراً أكثر من اللازم؛ أطِل الخطوط الخارجية، وانتبه للمسافة الكبيرة بين الأنف والأذنين". كانت تجلس في موضعٍ لا يتيح لها رؤية الحامل، ولا معرفة ما عليه.

كلٌّ من ألفوا نسخَ اللوحتين اللتين رسمهما هذا الفنان للمعلمين سيستحضرون في أذهانهم تلك السمة الشبابية التي تبدو على وجه "كوت هومي". إنها ليست مجرد ملامحَ توحي بصغر السن، بل هي «الشباب» في جوهره؛ ليست دلالةً على قلة الخبرة أو حداثة العمر، بل هي تعبيرٌ عن الحياة - تلك الحياة الزاخرة والفياضة التي تظلُّ شابةً على الدوام - وعن قدرةٍ فائقةٍ على ضبط النفس، تبلغ من القوة حدَّ التحكم ليس فقط في تعبيرات الوجه، بل في الأعصاب والعضلات أيضاً.

على الرغم من أن جسده بدا شفافاً، إلا أن الإنسان كان يتمتع بقوة ذهنية وروحية تفوق تصور أولئك الذين لم تتح لهم الرؤية في المستوى النوراني. لقد كان كائناً تجسدت فيه كل المُثل العليا التي ابتكرها البشر؛ تجسيداً للرجولة في أبهى صورها. كان نموذجاً مكتملاً، بحيث كان مجرد النظر إليه متعةً لا توصف. ولا يمكن لأي محاكاة واقعية لهذا الكائن أن تفي بحقيقته؛ إذ لن تكون في أحسن أحوالها سوى خطوطٍ باهتةٍ لا تعكس سوى ظلال "الإنسان الحقيقي".

لم يُعرف كم عدد الأشخاص الذين كانوا في المرسم في تلك المناسبة الأولى وأدركوا حضور "المعلم". كان في الغرفة أشخاص يتمتعون بقدرات نفسية (روحية/خارقة) - وكان

عددهم بضعة أفراد - بمن فيهم الفنان، السيد "شميشن"؛ إذ لولا امتلاكه لمثل هذه القدرات، لما تمكن من إنجاز تلك اللوحة -التي رسم خطوطها الأولية في ذلك اليوم المشهود- بهذا القدر من النجاح.

وقد تلا ذلك رسم لوحة "بورتريه" لـ "المعلم" المشار إليه بحيث حظيت كلتا اللوحتين بموافقة "ه. ب. ب" واكتسبتا شهرة واسعة بين أتباع الحركة الثيوصوفية في جميع أنحاء العالم. وتُعد هاتان اللوحتان مصدر إلهام لكل من أتيحت له فرصة تأمل القوة المذهلة والتعبيرات التي نجح السيد "شميشن" في تجسيدها من خلالهما[121].

المصدر: مجلة «ذا وورد» (نيويورك)، يوليو 1912، ص 204–206.

ملاحظة: في السرد أعلاه، تكتب السيدة هولواي-لانغفورد بصيغة الغائب عما رأته وما اختبرته نفسياً (روحياً) خلال ذلك الحدث. تشير الأبحاث في الوثائق المصدرية الأولية إلى أن صورة "المعلم موريا" قد رُسمت في الواقع أولاً، تلتها لاحقاً صورة "المعلم كوت هومي". دانييل إتش. كالدويل. [121]

..

الملحق 4

السيدة بلافاتسكي والمهاتما

بقلم أ. بي. سينيت

الجزء الأول

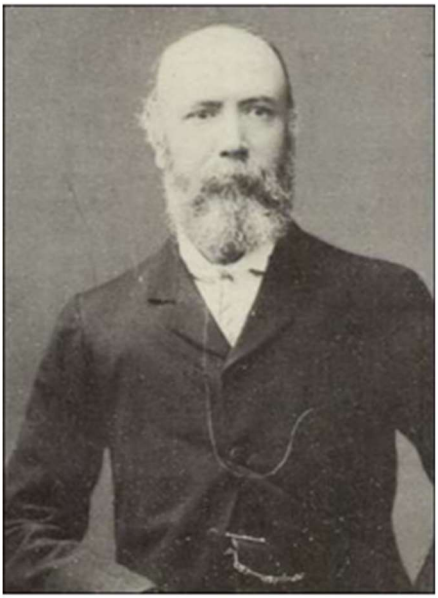

أ. بي. سينيت

بفضل سلسلة من الظروف المواتية، تواصلتُ مع أشخاص [يُعرفون بـ "الحكماء" أو "المعلمين" أو "المهاتما"]، وهم ورثةٌ لمعرفةٍ أعمق بأسرار الطبيعة والبشرية تفوق ما توصلت إليه الثقافة الحديثة حتى الآن؛ ورغبتي الحالية هي رسم الخطوط العريضة لهذه المعرفة... وتوضيح الأسباب التي تدعو إلى إيلاء اهتمامٍ بالغ الاحترام للنظريات التي يطرحها "العلم الغيبي" (أو العلوم الباطنية) حول تكوين النفس البشرية ومصيرها...

لقد كانت حكمة العالم القديم - حيث تمازج العلم والدين، واقترنت الفيزياء بالميتافيزياء - واقعاً قائماً، وهي لا تزال باقية حتى يومنا هذا. وهذا هو ما سيُشار إليه في هذه الصفحات بـ «الفلسفة الغيبية» (أو «الأمور الغيبية»، أو «العلم الباطني»، أو «الثيوصوفيا»). لقد كانت منظومة معرفية متكاملة، جرى تنميتها في الخفاء، وتوارثها المسارّين على أسرارها عبر العصور...

يستطيع ممارسو العلوم الغيبية في عصرنا الحالي إجراء تجارب مماثلة، وتقديم نتائج تُثبت أنهم يتفوقون بمراحل شاسعة على العلم الحديث التقليدي في فهم قوى الطبيعة. وعلاوة على ذلك، فهم يرثون عن أسلافهم العظام علماً لا يقتصر على الفيزياء فحسب، بل يمتد ليشمل تكوين النفس والروح البشرية وقدراتهما.

لقد اكتشف العلم الحديث دورة الدم، بينما تدرك العلوم الغيبية (الباطنية) دورة "مبدأ الحياة". ففي حين يقتصر علم وظائف

الأعضاء الحديث على دراسة الجسد، تعنى العلوم الغيبية بالروح أيضاً؛ لا بوصفها موضوعاً لتأملات دينية غامضة أو انفعالات روحية مبهمة، بل باعتبارها كياناً فعلياً ذا خصائص يمكن فحصها، سواء بالاقتران مع خصائص الجسد أو بمعزل عنه.

... ينبغي استحضار ماهية الممارسات الغيبية (الباطنية) -كما جرت عبر العصور- لتفسير ضخامة تنظيمها، ولإدراك تلك الحقيقة المذهلة المتمثلة في أن أفراداً من الشرق، يعيشون في عزلة، قد يكونون على دراية بالكهرباء تفوق معرفة العَالِم فاراداي[122] وبفيزياء تتجاوز ما وصل إليه تيندال[123]...

وخلال مسيرةٍ دفعت بالعلوم الغيبية (الباطنية) في ميدان العلوم الطبيعية إلى أبعد بكثير مما بلغناه، ظلت العلوم الطبيعية بالنسبة لهذه العلوم الخفية مجرد مجالٍ ذي أهمية ثانوية. فقد انصبَّ جلُّ اهتمامها على البحث الميتافيزيائي، وعلى القدرات النفسية الكامنة في الإنسان؛ وهي قدراتٌ تُمكّن المشتغل بالعلوم الغيبية، حالَ تطويرها، من الحصول على معرفةٍ تجريبيةٍ فعليةٍ حول حالة الروح في وجودها خارج الجسد...

لا تُعدُّ العلوم الغيبية (الباطنية) مجرد اكتشافٍ منعزلٍ يُظهر امتلاك البشرية لقوىً معينةٍ على الطبيعة - وهي قوىً أخفقت الدراساتُ الأضيقُ للطبيعة، القائمةُ على منظورٍ ماديّ بحت،

---

[122] **Faraday.**
[123] **Tyndall.**

في تطويرها - بل هي أشبهُ بنورٍ يُسَلَّطُ على كلِّ التأملات الروحية السابقة ذاتِ القيمة، مما يؤدي إلى الربط بين أنظمةٍ تبدو في ظاهرها متباعدةً. إنها بالنسبة للفلسفة الروحية تشبه إلى حد كبير ما وُجد أن اللغة السنسكريتية تمثله بالنسبة لعلم فقه اللغة المقارن؛ فهي بمثابة رصيد مشترك للجذور الفلسفية. وبذلك، تندرج اليهودية والمسيحية والبوذية واللاهوت المصري ـــ إلى جانب أنظمة دينية ثانية حول العالم ـــ ضمن عائلة واحدة من الأفكار.

لقد ذكرتُ أن الأهمية البالغة للمعرفة الغيبية تكمن في كونها توفر معرفة دقيقة وتجريبية حول الأمور الروحية؛ وهي أمور تظل -في ظل أي أنظمة ثانية- مجرد موضوع للتكهنات أو للإيمان الديني الأعمى.

ويمكن القول أيضاً إن العلوم الغيبية تُبيّن أن الانسجام والاستمرارية السلسة للطبيعة -التي نلحظها في الفيزياء- تمتد لتشمل تلك العمليات الطبيعية المتعلقة بظواهر الوجود الميتافيزيقي.

لا ينبغي الخلط بين الظواهر الغيبية وظواهر الروحانية[124]. فظواهر الروحانية -مهما كانت طبيعتها- ليست سوى تجلياتٍ يعجز الوسطاء الروحانيون عن التحكم فيها أو فهمها بمفهومٍ علمي؛ أما الظواهر الغيبية فهي نتاج عملِ ممارسٍ واعٍ وحيّ

---

[124] **Spiritualism.**

[يُعرف بـ "الحكيم" أو "الأديبت[125]"]، يدرك تمام الإدراك القوانين التي يعمل وفقاً لها.

إذا بدت هذه الإنجازات أشبه بالمعجزات، فذلك مرده إلى جهل المراقب. فالمؤمن بالظواهر الروحية يدرك تمام الإدراك - رغم سخرية الجاهلين من الخارج، ممن يكتفون بالضحك دون أن يدركوا كنه ما يضحكون عليه - أن ثمة ظواهر شتى (خارقة للطبيعة أو نفسية) تقع تماماً خارج نطاق الأسباب المادية، وهي تحدث باستمرار لأولئك الباحثين الذين يتقصونها بجدية كافية.

لكنه لم يستطع قط تجاوز مرحلة صياغة فرضيات حول القوانين الغيبية للطبيعة التي أدت إلى نشوء هذه الظواهر. فقد تبنى فرضيةً معينة ـــ مفادها أن الظواهر المرتبطة بالوسطاء الأرواحيين والمذهب الروحاني لا يمكن أن تحدث إلا بفعل أرواح الموتى أو بمساعدتها ـــ وانطلاقاً من هذه الفكرة، عمل على بناء صرحٍ نظريٍ بالغ التعقيد حول تلك الوقائع.

بشكل عام، لا تكاد توجد ظاهرة من ظواهر الروحانية لا يستطيع الممارسون الأحياء لعلوم الغيبيات إعادة إنتاجها بقوة إرادتهم، مدعومين بفهمهم لموارد الطبيعة... لقد رأيتُ بعضاً من أكثر ظواهر الروحانية شيوعاً وهي تتحقق بفعل بشريٍ بحت.

---

[125] **Adept.**

إن ظاهرة "طرقات الأرواح" الأصلية القديمة - التي ارتبطت بالأخوات "فوكس" في أمريكا، والتي مهدت الطريق لظواهر أكثر قوة في مجال الروحانية (الأرواحية) للعالم عام 1848- قد تجلت أمامي، بهدف تنويري، عبر أشكال متنوعة لا حصر لها، وفي ظل ظروف تجعل من فرضية وجود أي "عامل روحاني" وراء هذه الأمور أمراً سخيفاً تماماً.

لقد رأيتُ زهوراً تتساقط من سقفٍ خالٍ في إحدى الغرف، في ظروفٍ منحتني قناعةً عمليةً بأنه لم يكن هناك أيُّ تدخّلٍ من قوى روحانية؛ ومع ذلك، فقد حدث الأمر بطريقةٍ يمكن وصفها بأنها "فوق طبيعية" (أو فوق فيزيائية) تماماً -بمعنى أنها وقعت دون الاستعانة بأي أدواتٍ مادية أو حِيَلٍ خداعية- تماماً كما هو الحال في ظاهرة تساقط الزهور التي تُنسب أحياناً إلى بعض الوسطاء الأرواحيين.

لقد تلقيت مراراً وتكراراً ما يُعرف بـ "الكتابة المباشرة" -وهي نصوص تظهر على أوراق داخل أظرف مغلقة أعددتها بنفسي- والتي كانت تُنشأ أو تتجسد بفعل شخصٍ حيّ يتواصل معي. كما أمتلك معلوماتٍ حول مجموعةٍ متنوعةٍ أخرى من الظواهر الروحانية المألوفة، التي كان يُنتجها بالطريقة ذاتها أشخاصٌ حكماء في العلوم الغيبية.

لكن ليس من مهامي في الوقت الراهن شن حرب على الأرواحية. فمن المرجح، في الواقع، أن تلقى الإعلانات التي أعتزم طرحها قبولاً لدى الأرواحيين أكثر مما قد تلقاه في الأوساط الثانية من العالم العام؛ ذلك أن الأرواحيين يدركون،

بحكم تجاربهم الخاصة، أن العلم السائد في عصرنا لم يقل كلمته الفصل بعد فيما يتعلق بالعقل والمادة. في المقابل، نجد أن الشخص العادي -الذي يتبنى موقفاً تشكيكياً- يتمسك بإنكار الحقائق ببلادة، وذلك حين تكون هذه الحقائق من النوع الذي يدرك هو نفسه عجزه عن تفسيره [وفقاً لمنظور مادي].

على الرغم من أن العقل العلمي المعتاد قد يتردد في التسليم بمصداقية شهادتي أو بقبول إمكانية تصور تفسيراتي، إلا أنه قد يكون من المفيد -لتبديد بعض الأحكام المسبقة العدائية- توضيحُ أمرٍ منذ البداية: وهو أن «العلوم الغيبية لا تعتمد على التخمين فيما يتعلق بتدخل البشر -بعد وفاتهم- في شؤون هذا العالم.

تتسم مناهجها بالدقة، ويتميز انضباطها الذهني بالصرامة، تماماً كما هو الحال في المختبرات أو قاعات المحاضرات الجامعية. ومن خلال اقترانها بالبحث الثيوصوفي، يمكن أن تحمي نفسها من تلك الاستنتاجات المتسرعة للأرواحية التي كانت سبباً رئيساً في نفور قطاعات واسعة من النخبة المثقفة منها. وإذا ما تكبّد دارسو الطبيعة المادية عناء مقاربة فسيصبح بإمكانهم - "هذا الموضوع من منظور "العلم الغيبي أخيراً- التعامل مع ظواهر الأرواحية بحرية، والنظر إليها بمعزل عن النظريات التي أُسست عليها بشكل سابق لأوانه؛ وبذلك، يتخلصون من حالة النفور التي يشعرون بها تجاهها حالياً، ويتمكنون من إدراج هذه الظواهر ضمن نطاق ما سيقرّون به -عن قناعة- باعتباره تعميمات علمية صحيحة.

تشمل القوى التي يضفيها "علم الغيبيات" على أتباعه -في المقام الأول- القدرةَ على التحكم في قوى طبيعية متنوعة لا يعرف العلمُ التقليدي عنها شيئاً؛ وهي قوى تُمكّن الممارسَ من التواصل مع أي ممارس آخر، بغض النظر عن المسافات التي قد تفصل بينهما على سطح الأرض.

إن هذا التلغراف النفسي [أو التخاطر] مستقل تماماً عن أي ظروف أو أدوات ميكانيكية من أي نوع. كما أن القدرات الاستبصارية لدى الحكيم متكاملة ومثالية إلى حد أنها ترقى لتصبح ضرباً من ضروب المعرفة الشاملة بكل ما يتعلق بشؤون العالم الدنيوي.

بالنسبة للبشر العاديين، يُعد الجسد سجناً للروح. فنحن لا نرى سوى ما يظهر أمام نوافذه، ولا ندرك إلا ما يُجلب إلى داخل قضبانه. أما الحكيم (أو المتبحر في الأسرار) فقد عثر على مفتاح سجنه، وبات بوسعه الخروج منه متى شاء؛ فلم يعد الجسد بالنسبة له سجناً، بل مجرد مسكن. وبعبارة ثانية، يستطيع هذا الحكيم أن يحرر روحه من جسده ويرسلها إلى أي مكان يرغب فيه، بسرعة البرق - أي بسرعة الفكر.

لقد ذكرتُ أن المشتغل بالعلوم الغيبية قادر على إخراج روحه من جسده؛ ومن خلال هذا الاكتشاف العرضي، يتضح أنه قد تيقن - بما لا يدع مجالاً لأدنى شك - من أنه يمتلك روحاً بالفعل.

أُطلق أحياناً على مقارنة الأساطير اسم "علم الدين". وإذا كان من الممكن حقاً وجود علمٍ للدين، فلا بد بالضرورة أن يكون هذا العلم هو "العلوم الغيبية" (الباظنية). ولعلّه ليس من الواضح للوهلة الأولى أن الحقيقة الدينية تتكشف للنفس -حين تتحرر مؤقتاً من الجسد- بشكلٍ أكثر اكتمالاً مما تتكشف لها وهي تدرك الأفكار عبر وسيط الحواس الجسدية.

أما الارتقاء إلى عالمٍ من التجرّد، حيث تغدو المعرفة عملية إدراكٍ محضٍ - مع بقاء الملكات العقلية في ذروة نشاطها وتمركزها في الكيان غير المادي للإنسان - فمن شأنه، بلا شك، أن يفضي إلى استيعابٍ أوسع للحقيقة الدينية.

لقد تحدثتُ للتو عن "الإنسان غير المادي" باعتباره كياناً متميزاً عن جسد الحواس المادية... وقد توصلت الفلسفة الغيبية إلى أن الذات الأثيرية الداخلية - أي الإنسان في تميزه عن جسده - هي في حد ذاتها غلافٌ لشيءٍ أكثر أثيرية منها؛ فهي، بمعنًى دقيقٍ للمصطلح، ماديةٌ في جوهرها.

يعتقد غالبية الناس المتحضرين أن للإنسان روحاً ستنجو - بطريقة ما- من فناء الجسد؛ لكنهم يضطرون إلى الاعتراف بأنهم لا يعرفون الكثير عنها.

يراود الكثيرَ من أكثر الناس تحضراً شكوكٌ عميقة حول هذا الموضوع، بل يرى بعضهم أن الأبحاث في مجال الفيزياء تميل إلى ترجيح فرضية مفادها أنه حين تنتهي حياة الجسد، لا يبقى

أي شيء آخر. أما الفلسفة الباطنية فلا تخوض في تكهنات حول هذا الأمر على الإطلاق؛ فهي تدرك الحقائق كما هي.

يتحدث القديس بولس -الذي كان ممارساً للعلوم الغيبية- [في العهد الجديد] عن الإنسان باعتباره يتكون من جسد ونفس وروح. وهذا التمييز لا يتوافق تقريباً مع النظرية [المسيحية الشائعة] التي تقول إن الإنسان، عند موته، تنتقل نفسه إلى الجنة أو الجحيم إلى الأبد. فما الذي يؤول إليه مصير الروح إذن؟ وما هي الروح، وكيف تختلف عن النفس، وفقاً لهذا التصور التقليدي؟

يطرح المفكرون [المسيحيون] الأرثوذكس نظرياتٍ خاصة بهم حول هذا الموضوع؛ فإما أن يعتبروا النفسَ مَوطناً للعواطف والروحَ مَوطناً للملكات العقلية، أو العكس. والحقيقة أنه لا يمكن لأحدٍ إرساء مثل هذه التخمينات على أساسٍ متين، ولا حتى بالاستناد إلى ما يُزعم أنه وحيٌ إلهي.

غير أن القديس بولس لم يكن ينساق وراء أوهامٍ غامضة حين استخدم ذلك التعبير؛ فالروح التي كان يشير إليها يمكن وصفها بأنها "نفسُ النفس". لكننا لسنا بحاجةٍ للخوض في هذا الأمر في الوقت الراهن. فالمسألة المهمة التي يطرحها "علم الغيبيات" هي أن نفس الإنسان - رغم كونها أكثر شفافية وأثيريةً وبقاءً بمراحل من الجسد - تظل في حد ذاتها واقعاً مادياً... لكنها ليست ماديةً بالمعنى الذي يفهمه علم الكيمياء بما يخص المادة.

النفس مادية، وهي تحلُّ في الجسد -الذي يكون عادةً أكثر ماديةً وغلظةً-؛ وهذا الوضع هو ما يتيح للمشتغل بالعلوم الغيبية أن يتحدث بثقةٍ ويقينٍ حول هذا الموضوع؛ إذ يمكنه أن يتيقن بنفسه من وجود النفس، ومن طبيعتها المادية، وذلك من خلال فصلها عن الجسد في ظروفٍ معينة، ثم إعادتها إليه مجدداً.

عندما أقول إن المشتغل بالعلوم الغيبية يدرك أنه يمتلك نفساً، فإنني أشير إلى هذه القوة. إنه يعرف ذلك تماماً كما يعرف المرء العادي أنه يمتلك... معطفاً؛ إذ بوسعه أن يخلعه عنه ويجعله يتجلى كشيء منفصل عنه. ولكن تذكر أنه بالنسبة له، بمجرد حدوث هذا الانفصال، يصبح هو ذاته "النفس"، بينما يكون الشيء الذي خلعه هو "الجسد". وهذا يعني التوصل إلى يقين مطلق حول المعضلة الكبرى المتعلقة بالبقاء بعد الموت. فالمتمرس في هذه العلوم لا يعتمد على الإيمان، ولا على التأملات الميتافيزيقية، فيما يخص احتمالات وجوده بمعزل عن الجسد.

إنه يختبر مثل هذا الوجود متى شاء؛ ومع أنه قد يُقال إن مجرد القدرة على التحرر المؤقت من الجسد لا تمنحه بالضرورة معرفةً بمصيره النهائي بعد أن يصبح هذا التحرر أبدياً عند الموت، إلا أنها تتيح له، على أقل تقدير، معرفةً دقيقة بالظروف التي سيبدأ في ظلها رحلته في العالم الآخر.

فما دام جسده حياً، تظل نفسه -إن جاز التعبير- أشبه بمنطادٍ مقيّد (وإن كان مربوطاً بحبلٍ طويلٍ للغاية، ومرنٍ، وغير

ملموس). ولعل هذه الرحلات المقيدة لا تكشف له ما إذا كان المنطاد سيظل طافياً حين تتفكك الآليات التي تثبته في الأسفل، ويجد نفسه طليقاً تماماً في الفضاء؛ لكن مجرد كونه "ملاحاً جوياً" قبل بدء الرحلة الفعلية، ومعرفته اليقينية بوجود وسيلةٍ كهذه - أي المناطيد - التي يمكن الاستعانة بها في حالاتٍ طارئة، يُعدُّ أمراً ذا قيمةٍ كبيرة.

ستكون هناك عظمة لا متناهية في القدرة التي وصفتها وحدها، لو افترضنا أن تلك هي غاية التمرس؛ لكنها -بدلاً من أن تكون الغاية- أشبه بالبداية....

من هم هؤلاء الحكماء... الذين أتحدث عنهم؟

هناك ما يدعو للاعتقاد بأن أمثال هؤلاء الحكماء قد وُجدوا في كل العصور التاريخية، وهم موجودون في الهند -أو في البلدان المجاورة لها- في وقتنا الراهن.

إن التطابق بين المعرفة التي ورثوها وتلك التي امتلكها المطلعون على العلوم الغيبية في العصور القديمة، يظهر جلياً وبشكل لا يقبل الجدل عند فحص الآراء التي يتبنونها والقدرات التي يمارسونها.

ولننظر في الوقت الراهن إلى وضع هؤلاء الحكماء كما هم عليه اليوم؛ فهم يشكلون "أخوية" أو "جمعية سرية" تمتد فروعها في جميع أنحاء الشرق، ويبدو لي أن مقرها الرئيسي يقع حالياً في التبت.

ومع ذلك، لم يخلُ الأمر في الهند من وجودهم؛ إذ لا تزال تلك البلاد ترفد هذه الأخوية بالعديد من الأعضاء الجدد.

فهذه الأخوية العظيمة تُعدّ في آنٍ واحدٍ أقلَّ المنظمات حصريةً وأكثرها حصريةً في العالم؛ إذ يُرحَّب فيها بالأعضاء الجدد من أي عرقٍ أو بلدٍ، شريطة أن يستوفوا المؤهلات المطلوبة.

وكما أخبرني أحدُ الحكماء بخباياها، فإن الباب يظلُّ مفتوحاً دائماً أمام الشخص المناسب الذي يطرقُه، غير أن الطريق الذي ينبغي قطعُه للوصول إلى ذلك الباب لا يمكن أن يجتازَه إلا المسافرون ذوو العزيمة الصلبة.

من المستحيل تماماً أن أصف مخاطر هذا المسار إلا بعبارات عامة للغاية؛ ومع ذلك، لا يتطلب الأمر الاطلاع على أي من أسرار المساررة لفهم طبيعة التدريب الذي ينبغي على المبتدئ اجتيازه قبل أن يبلغ مرتبة المتمكن في العلوم الغيبية.

فالمتمرس لا يُصنع، بل يصير كذلك - كما أُكِّد لي مراراً وتكراراً - وتظل عملية التحول هذه، في جوهرها، بين يديه هو.

هيلينا بتروفنا بلافاتسكي

لقد كان من خلال صلتي بالجمعية الثيوصوفية ومعرفتي بالسيدة [هيلينا بيتروفنا] بلافاتسكي أن اكتسبتُ تجاربَ تتعلق بعلوم الغيبيات [وبحكمائها].

تُعدُّ مدام بلافاتسكي من المُنضمّين إلى "جماعة الحكماء" وهي ذاتُ مَقامٍ يُمكّنها من امتلاك تلك القُدرة البديعة على «التلغراف النفسي» مع رفاقها في الميدان الغيبي... فبعد مسيرةٍ من الدراسات الباطنية استمرت سبع سنوات في أحد الملاذات بجبال الهيمالايا، وتتويجاً لتكريس حياتها -على مدى خمسٍ

وثلاثين أو أربعين عاماً- للسعي في دراسة العلوم الغيبية، عادت مدام بلافاتسكي للظهور في العالم.

لقد قادتها توجيهات أصدقائها [ذوي القدرات الفائقة] -الذين لم تعد تخشى الانفصال عنهم، بالمعنى المعتاد لهذا المصطلح، رغم أنها تركتهم في جبال الهيمالايا حين عادت إلى أوروبا- إلى زيارة أمريكا. وهناك، وبمساعدة أشخاص آخرين أثار اهتمامَهم ظهورُ قدراتها الاستثنائية في مناسباتٍ متفرقة - وعلى رأسهم العقيد أولكوت، الذي كرّس حياته لرئاسة هذه الجمعية- أسست "الجمعية الثيوصوفية". وقد تمثلت أهداف الجمعية، وفقاً لتعريفها الأصلي، في استكشاف القوى النفسية الكامنة لدى الإنسان، والبحث في الأدبيات الشرقية القديمة التي قد تحتوي على مفاتيح هذه القوى، والتي يمكن من خلالها أيضاً الكشف عن جوانب من فلسفة العلوم لغيبية (العلوم الباطنية).

ترسخت الجمعية بسهولة في أمريكا، كما أُنشئت فروع لها في إنكلترا وأماكن ثانية؛ لكن مدام بلافاتسكي - تاركةً تلك الفروع لتدبر أمورها بنفسها - عادت في نهاية المطاف إلى الهند لتأسيس الجمعية بين السكان المحليين، الذين كان من المتوقع - نظراً لما يتمتعون به من ميل فطري متوارث نحو السرانية - أن يبدوا حماساً كبيراً لمشروعٍ ذي طابع نفسي، يلامس إيمانهم الحدسي بحقيقة "يوغاً فيديا"[126] (يوغا المعرفة).

---

[126] yoga vidya.

في أوائل شهر سبتمبر من عام 1880، جاءت مدام بلافاتسكي إلى سيملا [في الهند] كضيفة لدينا... وفي أحد الأيام... سألتُ مدام بلافاتسكي عما إذا كان بإمكاني كتابة رسالة إلى أحد "الإخوة" [أي الحكماء أو المعلمين]، وهل يمكنها إيصالها نيابةً عني. لم أكن أعتقد أن هذا أمرٌ محتمل، لعلمي بمدى صعوبة الوصول إلى هؤلاء "الإخوة"؛ لكن بما أنها وعدت بالمحاولة على أية حال، فقد كتبتُ رسالةً عنونتُها بـ "إلى الأخ المجهول"، وسلمتُها لها لأرى إن كان سيترتب على ذلك أي نتيجة... مرّ يوم أو يومان قبل أن أعرف شيئاً عن مصير رسالتي، ثم أخبرتني مدام بلافاتسكي بأنني سأتلقى رداً. وعلمتُ لاحقاً أنها لم تجد في البداية أيّاً من "الإخوة" مستعداً لاستقبال هذه الرسالة؛ إذ رفض أولئك الذين خاطبتهم أولاً الانشغال بهذا الأمر. وأخيراً، جاءها ردٌّ إيجابي عبر "وسيلتها التخاطرية" من أحد "الإخوة" الذين لم تكن على تواصل معهم منذ فترة؛ فقد أبدى استعداده لتسلم الرسالة والرد عليها.

بعد ذلك بيوم أو يومين، وجدتُ ذات مساء على مكتبي أول رسالة أرسلها إليّ مراسلي الجديد.

قد أوضح هنا - بناءً على ما عرفته لاحقاً - أنه من أبناء إقليم البنجاب، وقد انجذب إلى الدراسات الغيبية منذ نعومة أظفاره. وبفضل مساعي أحد أقاربه - الذي كان هو نفسه ممارساً لهذه العلوم - أُرسل إلى أوروبا وهو لا يزال في مقتبل العمر ليتلقى تعليمه وفق المعارف الغربية؛ ومنذ ذلك الحين، تعمق في أسرار المعارف الشرقية العميقة حتى بلغ فيها مراتب

متقدمة... أما الشخص الذي أراسله فهو معروف لدي باسم المهاتما كوت هومي وهذا هو "اسمه السراني التبتي"؛ إذ يبدو أن المشتغلين بهذه العلوم يتخذون لأنفسهم أسماءً جديدة عند بلوغهم مراحل معينة من المعرفة.

[في العام التالي 1881] ... دخلتُ [أيضاً] في علاقة مع أحد "الإخوة" الآخرين، إلى جانب "كوت هومي". فقد اقتضى مسار تطوره الشخصي أن يعتزل "كوت هومي" في خلوة تامة لمدة ثلاثة أشهر... وفي ظل هذه الظروف، وافق أحد "الإخوة" [المعلم موريا] -الذي كان "كوت هومي" يرتبط به ارتباطاً وثيقاً- على أن يتولى... توجيهنا خلال فترة غياب "كوت هومي"، وذلك عبر تقديم سلسلة من الدروس في الفلسفة الغيبية.

لقد كانت فكرةً موفقة تلك التي دفعتني إلى... [بدء هذه ... المراسلات مع "المهاتما"][127] ؛ فمن تلك البداية المتواضعة، نشأت أكثر المراسلات إثارةً للاهتمام التي حظيتُ بفرصة المشاركة فيها على الإطلاق[128].

---

[127] يقصد الرسائل المنشورة في كتاب (رسائل المهاتما). المترجم.

[128] المصدر: جُمع الجزء الأول أعلاه ورُتِّب من كتاب "العالم الغيبي" تأليف إيه. بي. سينيت، لندن، 1881. دانيال إتش. كالدويل.

الجزء الثاني

في أوائل القرن التاسع عشر... كان التوجه السائد في الأوساط الفكرية بالعالم الغربي يميل بوضوح نحو المادية البحتة. فقد عزز التقدم العلمي الاعتقاد بأن كل أشكال الوعي ليست سوى نتاج لقوانين طبيعية (فيزيائية) تعمل من خلال المادة المنظمة.

أدرك "المعلمين" - الذين عرّفت بهم "ه. ب. بلافاتسكي" العالمَ لأول مرة - خطورةَ النزعة المادية السائدة؛ فتقرر القيام بمحاولةٍ لاستكشاف ما إذا كان العالمُ مهيئاً لتلقي كشفٍ جزئيٍّ عن القوانين الطبيعية (التي تنطوي في جوهرها على أبعادٍ غيبية وروحيةٍ أسمى) التي تحكم التطور البشري. وقد اتخذت هذه المحاولةُ شكلَ "الحركة الثيوصوفية"... التي كان من أبرز مؤسسيها: "ه. ب. بلافاتسكي"، و"هنري إس. أولكوت"، و"ويليام كوان جودج".

فيما يتعلق بتأسيس الجمعية الثيوصوفية في نوفمبر 1875، فقد طُرِحت فكرة إنشاء مثل هذه الجمعية -على المستوى الظاهري- من قِبل العقيد أولكوت خلال لقاءٍ غير رسمي لمجموعة من الأشخاص الذين أبدوا اهتماماً بالسيدة بلافاتسكي، وذلك في غرفتها بمدينة نيويورك في سبتمبر 1875؛ حيث كان الدافع المعلن لهذا اللقاء هو الاهتمام بحضور محاضرةٍ كان سيلقيها شخصٌ يُدعى السيد "فيلت"

حول الآثار المصرية والعلوم السحرية التي كان يمارسها الكهنة المصريون القدماء.

في اليوم التالي لهذا التجمع، عُقد اجتماع أكثر رسمية، وقرر الحاضرون تأسيس جمعية تعنى بـ "دراسة وتوضيح العلوم الغيبية (الباطنية)[129]، والكابالا، وما إلى ذلك". وفي اجتماع لاحق عُقد في الثامن عشر من سبتمبر، "تقرر أن يكون اسم الجمعية: الجمعية الثيوصوفية".

تُعدُّ السيدة بلافاتسكي الشخصية المحورية التي ينبغي النظر إليها؛ فهي الوحيدة التي كانت على يقين -من واقع معرفتها الشخصية- بأن "المعلمين" (أو "الإخوة"، كما كانت تسميهم آنذاك) هم كائناتٌ ذات مظهرٍ بشري، ومن لحمٍ ودم؛ إذ سبق لها أن قضت فترةً من الزمن بصحبة اثنين منهم في التبت. وكانت تدرك أنهم يمتلكون قدراتٍ مذهلة في التعامل مع شؤون العالم.

كانت هي نفسها تتمتع بقدرات ذات طبيعة فوق فيزيائية، أبقتها على تواصل معهم أينما كانت. وكانت تدرك أن عليها إنجاز مهمة، اتخذت في تلك الآونة شكل "الجمعية الثيوصوفية".

لقد ألّفت كتاباً ضخماً يقع في مجلدين بعنوان «إيزيس مكشوفة النقاب" وهو عملٌ كان يزخر بإشاراتٍ ذات دلالاتٍ بالغة الأهمية... [تتعلق بالروحانية، والوساطة الأرواحية، والظواهر

---

[129] **Occultism.**

النفسية، والحياة بعد الموت، والسحر، والعلوم الغيبية، والمسيحية الباطنية، وأديانٍ عالمية ثانية - بما في ذلك الهندوسية والبوذية -، ونظرية التطور، والعلوم، وغيرها].

بعد صدور كتاب «إيزيس مكشوفة النقاب» [في سبتمبر 1877]، غادرت مدام بلافاتسكي والعقيد أولكوت نيويورك [في ديسمبر 1878] متوجهين إلى الهند.

ومع وصول المؤسسَيْن إلى الهند، يمكن اعتبار أن التطور الحقيقي للجمعية قد بدأ.

في مطلع عام 1879، وصلت مدام بلافاتسكي والعقيد أولكوت إلى بومباي. وفي ذلك الوقت، كنت أشغل منصب رئيس تحرير صحيفة «ذا بايونير" وهي الصحيفة اليومية الرائدة الناطقة بالإنكليزية في الهند- وهو منصبٌ توليتُه منذ نحو ثماني سنوات.

كان أصدقاءٌ لي في لندن قد حدثوني عن كتاب مدام بلافاتسكي "إيزيس مكشوفة النقاب" وكيف فتح آفاقاً فكرية جديدة تتجاوز تلك التي تطرحها النزعة الروحانية إذ بدا أن الكتاب يُحيي معتقداتٍ قديمةً حول السحر، وهي معتقداتٌ طالما اعتُبرت في العالم الغربي مجرد خرافات.

على أية حال، كانت مؤلفة ذلك الكتاب شخصيةً استثنائية، تستحق اهتمام الرأي العام؛ لذا كتبتُ ملاحظةً في صحيفة "بايونير" بمناسبة وصولها إلى الهند، أشرتُ فيها إلى أنها

ربما تبحث عن أشكالٍ جديدة من الوساطة الأرواحية بين سكان ذلك البلد. وقد دفع هذا الأمرُ العقيد أولكوت إلى مراسلتي.

اقترحت زوجتي أن ندعوهم للإقامة معنا حين يقدِمون إلى داخل البلاد [إلى الله أباد، الهند] ... وبناءً عليه، أرسلتُ الدعوة... وبالطبع، قوبلت بقبولٍ حار.

لم يأتِ كلاهما - هي والعقيد أولكوت - إلينا في الله أباد إلا في وقت متأخر من عام [1879]... وما زلت أذكر بوضوح الظروف التي أحاطت بوصولهما؛ فقد قدما على متن قطارٍ وصل إلى الله أباد في ساعة مبكرة جداً من الصباح. ذهبتُ إلى المحطة لاستقبالهما واصطحبتهما معي. كان الوقت لا يزال مبكراً للغاية، لدرجة أننا وضعنا "تشوتا هازري" (أي وجبة الإفطار الأولى) في الشرفة، في حين لم تكن زوجتي قد خرجت بعد من غرفتها.

جلست معي السيدة بلافاتسكي إلى الطاولة، وسألتني عما إذا كنا قد أجرينا أي تجارب في مجال الأرواحية. فأجبتها بأننا حاولنا ذلك في بعض الأحيان، لكن دون أي نتائج، «حتى إننا لم نسمع ولو طرقة واحدة». فقالت: «أوه! الطرقة هي أسهل شيء يمكن الحصول عليه»، ثم وضعت يدها على الطاولة؛ فإذا بأصوات طرق -من ذلك النوع الروحاني الأصيل- تُسمع فجأة في كل مكان حولها.

ظهرت زوجتي على الفور تقريباً، واستقبلت الزوار بحفاوة.

كان انطباعنا الأول عن السيدة بلافاتسكي إيجابياً بلا شك، وقد وجدتُ في مذكرات زوجتي لذلك اليوم - الرابع من ديسمبر عام 1879- التدوينة التالية بشأن السيدة بلافاتسكي: "سيدة مسنة فريدة من نوعها، وتَعِدُ بالكثير من التسلية".

أما أصوات الطرق التي أحدثتها السيدة بلافاتسكي لنا بطرق شتى، فقد كانت بلا شك دليلاً على أمرٍ يتجاوز مجرد الوساطة الأرواحية؛ إذ كانت بوضوح تحت سيطرتها [الواعية]، وهو أمرٌ لا يحدث أبداً في حالات الوساطة الأرواحية المعتادة.

[وفي العام التالي] دعونا ضيوفنا لزيارتنا مجدداً في سيملا ... [في أقصى شمال الهند] ... فوصلوا إلى هناك في الثامن من سبتمبر عام 1880.

إن الأحداث التي واكبت وجود السيدة بلافاتسكي في سيملا موصوفة في كتابي "العالم الغيبي" فقد تركت مظاهر القوة الغيبية التي جرى استعراضها آنذاك [من قِبل السيدة بلافاتسكي و"والمعلمين"] أثراً عميقاً في نفسي. إذ شعرتُ بأن أولئك الذين أظهروا مثل هذه القدرة المذهلة على القوى الطبيعية - التي لا عهد للعلم المادي بها- لا بد أنهم يمتلكون من المعرفة ما يتناسب مع تلك القدرات.

في إحدى المرات... [قلت للسيدة بلافاتسكي إنني] أرغب في التواصل مع أحد «الإخوة» الذين كانت تتحدث عنهم...
وأظهرت المحادثة أنها ترى أن هذا الأمر قد لا يكون مستحيلاً،

فكتبتُ رسالةً موجهةً إلى أحد هؤلاء الإخوة وسلمتُها للسيدة بلافاتسكي كي تقوم بإيصالها.

...وفي الوقت المناسب تلقيتُ ردّاً، وكان ذلك أولَ رسالةٍ من سلسلةٍ طويلةٍ من الرسائل الواردة من "المعلِّمين" وهي الرسائل التي أفضت إلى إعداد [كتابَيَّ] "العالم الغيبي" و"البوذية الباطنية"....

...تضمنت [رسائل المعلّمين] قدراً هائلاً من المعلومات حول الحقائق الطبيعية التي أصبحت فيما بعد الأفكار الأساسية التي تقوم عليها "الثيوصوفيا" (الحكمة الإلهية) ... مثل: تقمّص الأرواح، والكارما، والسلاسل الكوكبية، وتعاقب الأعراق الجذرية والروحانية وأحوال ما بعد الموت... [وغير ذلك] ....

...أبدى السيد أ. أو. هيوم[130]، الذي كان يرأس أحد أقسام حكومة الهند، اهتماماً بالغاً بالظواهر المدهشة التي كانت تحدث آنذاك من خلال السيدة بلافاتسكي - أو بفضل قدراتها الشخصية. وقد أطلعته على الرسائل التي تلقيتها من "المعلم ك. هـ" وبدوره قام هو أيضاً بمراسلة المعلم وتلقى ردوداً منه. وفي تلك الفترة، ولاحقاً أيضاً، عملنا معاً بتعاون وثيق....

...وَرَدَ عددٌ لا بأس به من الرسائل... من "المعلّم ك. هـ" بعضها موجَّهٌ إليّ شخصياً، وبعضُها الآخر إلى السيد هيوم... وقد نُشِرَ جزءٌ من هذه التعاليم في مجلة "الثيوصوفي" ضمن سلسلة من المقالات- تحت عنوان "مقتطفات من الحقيقة

---

[130] **A. O. Hume.**

[خلال الأعوام 1881 و1882 و1883]. وكان الغيبية" نصيبي هو كتابة معظم هذه المقالات، استناداً إلى المعلومات التي وردت [في الرسائل المُرسَلة من قِبَل المعلّمين] ....

في مارس عام 1881، سافرتُ أنا وزوجتي في رحلةٍ لقضاء العطلة إلى إنكلترا. وخلال رحلة العودة بحراً، ألّفتُ كتاب "العالم الغيبي" وصدر الكتاب بعد فترة وجيزة من وصولنا [إلى لندن] ...

... بعد عودتي إلى الهند في يونيو 1881، بدأت أتلقى رسائل من «المعلّم» تتضمن تعاليم محددة حول التطور البشري، وأصل الجنس البشري ومصيره [بما في ذلك الحياة بعد الموت، وتقمص الأرواح، والتطور الروحي، وما إلى ذلك]؛ وهي المعلومات التي وفّرت لي -بعد عام أو عامين- المادة اللازمة لكتابة [كتابي الثاني] "البوذية الباطنية" الذي نُشر عام 1883[131].

المصدر: جُمع الجزء الثاني أعلاه ورُتِّب استناداً إلى كتاب "الأيام [131] الأولى للثيوصوفيا في أوروبا"بقلم إيه. بي. سينيت، لندن، 1921.. دانيال إتش. كالدويل.

الملحق 5

حكماء، ومعلمين، ومهاتما

معرفتهم بالحقائق الروحية

من خلال التجربة الشخصية والملاحظة

حين سافرنا، قبل سنوات، عبر الشرق، مستكشفين خبايا مقدساته المهجورة، ثار في أذهاننا سؤالان محزنان يترددان باستمرار: أين الله؟ ومن هو الله؟ وما هو الله؟ ومن ذا الذي رأى يوماً "الروح الخالدة" في الإنسان، حتى يتيقن من خلوده؟» - هـ. ب. بلافاتسكي، كتاب "إيزيس مكشوفة النقاب"1877، المجلد الأول، ص 6.

منذ لحظة تكوّن الجنين وحتى اللحظة التي يلفظ فيها المرء أنفاسه الأخيرة ويوارى الثرى، يظل كل من البداية والنهاية لغزاً عصياً على العلم الأكاديمي؛ فما قبلنا فراغٌ مطبق، وما بعدنا فوضى عارمة. ولا يملك هذا العلم أي دليل حول طبيعة العلاقات التي تربط بين الروح والنفس والجسد، سواء قبل الموت أو بعده. بل إن "مبدأ الحياة" بحد ذاته يمثل لغزاً مستعصياً، استنزفت المادية قواها الفكرية في محاولة سبر أغواره، لكن دون جدوى. وأمام جثة هامدة، يقف عالم الفسيولوجيا المتشكك عاجزاً عن الرد حين يسأله تلميذه: من

أين جاء الساكن الذي كان يقطن هذا الجسد الخاوي، وإلى أين ذهب؟ على التلميذ إما أن يكتفي -على غرار معلمه- بالتفسير القائل بأن "البروتوبلازم" هو الذي صنع الإنسان، وأن قوةً حيويةً قد بثت فيه الحياة وستقوم الآن باستهلاك جسده، وإما أن يخرج من أسوار كليته ومن بين كتب مكتبتها ليبحث عن تفسيرٍ لهذا اللغز. بلافاتسكي، "إيزيس مكشوفة النقاب"[132] 1877، المجلد الأول، ص336.

في الوقت الذي كنا فيه في أمسّ الحاجة إلى حلّ هذه المعضلات المحيرة، تواصلنا مع رجالٍ يتمتعون بقوى غامضة ومعرفةٍ عميقة، لدرجة أننا نستطيع بحق أن نطلق عليهم لقب "حكماء الشرق". وقد أصغينا باهتمامٍ بالغٍ إلى ما قدموه لنا. من تعاليم. بلافاتسكي، «إيزيس مكشوفة النقاب"، 1877 المجلد الأول، ص 6.

إنَّ العملَ المطروحَ الآن أمام حُكمِ الجمهورِ هو ثمرةُ معرفةٍ وثيقةٍ نوعاً ما بـ [هؤلاء] الحكماءِ الشرقيين، ودراسةٍ لعلومهم [الباطنية]. ه. ب. بلافاتسكي، "إيزيس مكشوفة النقاب"، 1877، المجلد الأول، ص 5.

كل كلمة من المعلومات [الباطنية] الواردة في مؤلفاتي مستمدة من تعاليم معلمينا الشرقيين؛ بل إن فقراتٍ عديدة في هذه الأعمال كُتبت بقلمي تحت إملائهم المباشر. ولا ينطوي قولي هذا على أي ادعاءٍ بقدراتٍ خارقة للطبيعة، فمثل هذا الإملاء لا

---

[132] **Isis Unveiled.**

يمثل معجزةً بأي حال. فبالنسبة للفكر، لا وجود للمسافات أو الأبعاد؛ وإذا ما توافر انسجامٌ نفسي-مغناطيسي تام بين شخصين - وكان أحدهما حكيماً عظيماً في العلوم الغيبية (الباطنية) - فإن انتقال الأفكار، أو حتى إملاء صفحاتٍ كاملة، يصبح أمراً يسيراً ومفهوماً تماماً، سواء كان الطرفان على بُعد عشرة آلاف ميل أو على مسافةٍ لا تتعدى عرض الغرفة. بلافاتسكي، «المؤلفات الكاملة»، المجلد الثالث عشر، ص 196.

ثمة، في بقاع شتى من العالم، حفنة من الدارسين المتأملين المنعزلين، الذين يقضون حياتهم في الخفاء، بعيداً عن ضجيج العالم، منكبّين على دراسة المعضلات الكبرى للكونين المادي والروحي. ولدى هؤلاء سجلات سرية حُفظت فيها ثمار الجهود العلمية التي بذلتها سلسلة طويلة من النساك الذين يُعدّ هؤلاء الدارسون ورثتهم. فمعارف أسلافهم الأوائل - حكماء الهند، وبابل، ونينوى، وطيبة الإمبراطورية - مدوّنة، إلى جانب الكثير غيرها، على رقائق لا تبلى، وتنتقل بعناية فائقة وحرص شديد من عارفٍ إلى آخر. بلافاتسكي، إيزيس مكشوفة النقاب. المجلد الأول، الصفحتان 557-558.

منذ العصور الأولى للبشرية، كانت الحقائق الجوهرية لكل ما سُمح لنا بمعرفته على هذه الأرض في عهدة وحفظ "الحكماء" في المعبد. هؤلاء الحراس للوحي الإلهي البدئي -الذين تمكنوا من حل كل معضلة تقع ضمن نطاق الإدراك البشري- كانوا مترابطين فيما بينهم عبر رابطة عالمية من العلم والفلسفة،

شكّلت بدورها سلسلة متصلة لا تنقطع حول أرجاء المعمورة.
بلافاتسكي، 1877، المجلد الأول، الصفحات 37-38.

هو شخصية تمكنت، بفضل تدريب وتعليم خاصين من تطوير تلك الملكات العليا واكتساب ذلك «المهاتما»[133] المعرفة الروحية التي لن تبلغها البشرية العادية إلا بعد المرور بسلسلة لا حصر لها من التجسدات خلال مسيرة التطور الكوني.

إن الكيان الذي يخضع لتدريب باطني (غيبي) عبر تجسداته المتعاقبة، يتخلص تدريجياً -في كل حياة- من المزيد من ماناس السفلي[134] أي العقل- الأدنى، حتى يأتي وقت يصبح فيه ماناس بكامله -وقد ارتقى كلياً في طبيعته- متمحوراً حول «الفردانية العليا»[135]؛ وعندها يمكن القول إن هذا الشخص قد صار "مهاتما".

---

[133] "المهاتما": تعني حرفياً «الروح العظيمة». وهو فردٌ بلغ أسمى مراتب الارتقاء؛ كائنٌ سامٍ استطاع السيطرة على جوانبه الدنيا (مبادئه السفلى)، وبات يعيش متحرراً من قيود «إنسان اللحم». يمتلك المهاتمات من المعرفة والقوة ما يتناسب مع المرحلة التي بلغوها في تطورهم الروحي. بلافاتسكي، "مفتاح الثيوصوفيا". طبعة عام 1890، ص 347.

[134] lower Manas.

[135] أحد المصطلحات المستخدمة في الثيوصوفيا (الحكمة) الفردانية "والعلوم الغيبية للإشارة إلى "الأنا الإنسانية العليا".
نحن نميز بين "الأنا" الإنسانية الفانية - التي تزول - وبين "الأنا الخالدة والإلهية". الأولى أو "الأنا الشخصية الفانية" أو الذات الشخصية تستمر بعد موت الجسد المادي، ولكن يقتصر بقاءها على مدة محدودة في "كاما

وعليه، فإن «المهاتما» الحقيقي ليس هو جسده المادي، بل الآتما»ذلك «الماناس» الأعلى المرتبط ارتباطاً لا ينفصم بـ (الآتما)[137] ومركبتها (بودهي)[136].

وهو اتحادٌ حققه [الفرد] في فترة زمنية قصيرة للغاية، من خلال اجتياز عملية التطور الذاتي التي أرست قواعدها الفلسفةُ الغيبية[138]. بلافاتسكي، «المؤلفات الكاملة»، المجلد السادس، ص 239.

"من خلال تدريب ملكاتٍ نمتلكها جميعاً، ولكنهم هم وحدهم من ارتقوا بها إلى حد الكمال، تمكّن [المهاتما أو الحكماء] من الولوج روحياً إلى هذه المستويات والأحوال [فوق المادية] المتنوعة. فعلى مدى عصورٍ طويلة، عكف أجيالٌ متعاقبة من هؤلاء الحكماء على دراسة أسرار الوجود، والحياة، والموت، وإعادة الميلاد؛ وقد نقل كل جيلٍ منهم، بدوره، بعضاً من

لوكا". أما الفردية الخالدة، فتبقى أبدياً. بلافاتسكي، مفتاح الثيوصوفيا، طبعة عام 1890، ص 338.

[136] الروح أو العقل الكوني. الروح الروحية في الإنسان «بودهي» هي المبدأ السادس (وفقاً للتصنيف الظاهري)، وتُعدّ مركبة أو وعاء لـ "آتما" "المبدأ السابع- بحسب هذا التصنيف الظاهري. بلافاتسكي، كتاب مفتاح الثيوصوفيا، طبعة عام 1890، ص 323.

[137] آتما أو آتمان أو الروح الكلية، الوحدة الإلهية (المونـاد) المبدأ السابع – كما يُسمى في التصنيف السباعي الظاهري للإنسان – النفس العليا. بلافاتسكي- مفتاح الثيوصوفيا – طبعة عام 1890. ص 319.

[138] Occult Philosophy.

الحقائق التي توصلوا إليها". بلافاتسكي، «مفتاح الثيوصوفيا، طبعة عام 1889، ص 217.

كانت رؤاهم الروحية - التي تمثلت في استكشافات حقيقية أُجريت بواسطة الحواس المادية والروحية، متحررةً من قيود الجسد العمياء - تخضع لعملية فحصٍ منهجي ومقارنةٍ دقيقة، مع تحليلٍ لطبيعتها. فكان يُستبعد كل ما لم يحظَ بتأييدٍ من خلال تجربةٍ جماعيةٍ متفقٍ عليها، بينما لم يُعتمد كحقيقةٍ راسخةٍ إلا ما ثبت توافقه - عبر عصورٍ شتى، وفي بيئاتٍ جغرافيةٍ متنوعة، ومن خلال سلسلةٍ لا حصر لها من الملاحظات المستمرة - وما تلقى، بمرور الوقت، تأكيداً ودعماً متجددين باستمرار. إن المناهج التي يتبعها علماؤنا وطلابنا في العلوم النفسية-الروحية لا تختلف عن تلك التي يتبعها دارسو العلوم الطبيعية والفيزيائية. فالاختلاف يكمن فقط في أن مجالات بحثنا تقع في مستويين مختلفين، كما أن أدواتنا لم تصنعها أيدٍ بشرية؛ ولعل هذا تحديداً هو ما يجعلها أكثر موثوقية. فبينما قد تتعطل أوعية المختبر، والمراكم، والمجاهر التي يستخدمها الكيميائيون وعلماء الطبيعة، أو قد يلحق التلف بالتلسكوبات وأدوات القياس الفلكي، فإن أدواتنا الخاصة بالرصد تظل بمنأى عن تأثيرات الطقس أو العوامل الطبيعية.
بلافاتسكي،"مفتاح الثيوصوفيا" طبعة عام 1889، الصفحتان 86-87.

على مدى آلاف السنين، قام المريدون - الواحد تلو الآخر - وكبار الكهنة المتعاقبون، باستكشاف الكون غير المرئي وعوالم الفضاء بين الكواكب مراراً وتكراراً؛ وذلك خلال فتراتٍ

طويلة كانت فيها أرواحهم الواعية - وقد اتحدت بالروحانية الكلية وبالوجود المطلق، وباتت حرةً وشبه كليّة القدرة - منفصلةً عن أجسادهم. لقد سبر أغوارَ الحياة والموت، وعوالمَ الظاهر والخفي، أولئك المريدون المتبحرون في مختلف العصور والأمم. وقد عكفوا على دراسة هذه الحقائق في لحظاتٍ مهيبة، حين اتحدت "مونادتهم" (جوهرهم) الإلهي بالروح الكلية، وقاموا بتدوين تجاربهم تلك. وهكذا، من خلال مقارنة ملاحظات الأفراد ببعضها البعض والتحقق منها، أمكن التأكد من أن رؤى الحكماء الذين عاشوا قبل عشرة آلاف عام تجد تأكيداً وتحققاً دائماً في رؤى الحكماء المعاصرين - الذين لا يطلعون على كتابات أسلافهم إلا في مرحلة لاحقة - مما يرسخ الحقيقة. وبذلك، تأسس علمٌ محددٌ يقوم على الملاحظة والتجربة الشخصية، وتدعمه براهين مستمرة، ويقدم أدلةً لا تقبل الدحض لمن يدرسه. ه. ب. بلافاتسكي، «المؤلفات الكاملة»، المجلد الخامس، الصفحتان 50-51.

"العقيدة السرية»[139] هي خلاصة حكمة العصور، وتُعدّ نظريتها في نشأة الكون، بحد ذاتها، نظاماً بالغ الضخامة والتعقيد. لقد تطلّب جمع هذه الحقائق وتدوينها وشرحها جهود أجيال لا تُحصى من الرائين والأنبياء المتبصّرين؛ إذ نفذت نظراتهم الثاقبة إلى جوهر المادة ذاته، ورصدت ما تنطوي عليه الأشياء من روح.

[139] The Secret Doctrine.

إن النظام [الباطني] ليس مجرد خيال يراود فرداً أو بضعة أفراد منعزلين، بل هو سجل متصل يمتد عبر آلاف الأجيال من «الحكماء» (أو الرؤاة)؛ أولئك الذين خضعت تجاربهم لغرض اختبار وتحقق تعاليم كائناتٍ أسمى وأكثر ارتقاءً، كانت ترعى البشرية في مراحل نشأتها الأولى. فعلى مدى عصورٍ طويلة، كرّس «الحكماء» من العرق البشري الخامس حياتهم للتعلم من خلال فحص واختبار والتحقق من تقاليد الماضي في كل جانب من جوانب الطبيعة، وذلك عبر الرؤى المستقلة التي حظي بها كبار «المتبحرين» (أو الأفراد المساررين)؛ وهم أولئك الذين طوّروا قدراتهم وبلغوا بها حد الكمال بتنظيماتهم الجسدية والعقلية والنفسية والروحية إلى أقصى درجة ممكنة.

"لم تكن تُقبل أي رؤية لأحد الحكماء ما لم تُفحص وتُؤكَّد من » خلال رؤىً ثانية - تم الحصول عليها بطريقة تجعلها بمثابة أدلة مستقلة - صادرة عن عارفين آخرين، وعبر قرون من التجارب". ه. ب. بلافاتسكي، «العقيدة السرية»، طبعة عام 1888، المجلد الأول، ص 273.

"إن إدراك المستويات الأسمى لوجود الإنسان على هذا الكوكب لا يتحقق بمجرد اكتساب المعرفة. فمهما بلغت دقة صياغة المعلومات وتعدد مجلداتها، فإنها تظل عاجزة عن كشف حقيقة الحياة في تلك المستويات العليا. لذا، لا بد للمرء أن يكتسب المعرفة بالحقائق الروحية من خلال التجربة الشخصية والملاحظة المباشرة". المعلم كوت هومي، «رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت» (الطبعة المرتبة زمنياً)، الرسالة 65، ص 168.

"نحن نُخبركم بما نعرفه؛ فنحن مهيؤون لاكتسابه من خلال التجربة الشخصية". المعلّم كوت هومي، «رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت» (الطبعة المرتّبة زمنيّاً)، الرسالة 70ج، ص 213.

"تُعدُّ الحياةُ أعظمَ معضلةٍ في نطاق الإدراك البشري، وهي لغزٌ لن يتمكن حتى أعظمُ علمائكم من حلّه. ولكي تُفهمَ الحياةُ فهماً صحيحاً، ينبغي دراستها عبرَ سلسلةِ تجلياتها كافةً؛ وإلا فسيستحيلُ ليس فقط سبرُ أغوارها، بل حتى استيعابُها في أبسط صورها - أي الحياةِ كحالةٍ من حالات الوجود على هذه الأرض. ولا يمكن إدراكُ كنهِها طالما ظلت تُدرسُ بمعزلٍ عن الحياة الكونية الشاملة. ولحلّ هذه المعضلة الكبرى، يتحتمُ على المرء أن يصبح "عالماً بالأسرار الغيبية" (الباطنية)[140]؛ بحيث يحللُ الحياةَ ويختبرُها بنفسه في جميع أطوارها: كحياةٍ على الأرض، وحياةٍ تتجاوزُ حدودَ الموت الجسدي، وحياةٍ في الممالك المعدنية والنباتية والحيوانية والروحية؛ سواءٌ كانت حياةً مقترنةً بالمادة الملموسة، أو حياةً كامنةً في الذرة التي لا تُدركُ بالحواس". المعلّم "كوت هومي"، من كتاب "رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت" (الطبعة المرتّبة زمنياً)، الرسالة 93ب، ص 316.

---

[140] المشتغل بالعلوم الغيبية:
هو مَن يمارس العلوم الغيبية، أو حكيم في العلوم السرية؛ غير أن هذا المصطلح يُطلق في كثير من الأحيان على مجرد دارسٍ لها.
إتش. بي. بلافاتسكي، «مفتاح الثيوصوفيا" طبعة عام 1890، ص 357.

"لقد تعلّم الحكيم السرَّ العظيم: كيف ينفذ بعمقٍ إلى أسرار الوجود". المعلّم كوت هومي، «رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت» (الطبعة المرتّبة زمنيّاً)، الرسالة 104، ص 360.

عالم القوة هو العالم الذي يقصده المريد المتقدم في مدارج المعرفة، لكي يسبر أغوار الوجود. ومن ثم، لا يمكن لأحدٍ غير هذا المريد أن يدرك شيئاً من تلك الأسرار. فبإرشادٍ من معلمه (الغورو)[141]، يكتشف التلميذ (الشيلا)[142] هذا العالم أولاً، ثم يحيط بقوانينه، ويدرك كيف تتطور هذه القوانين -عبر حركاتٍ طاردةٍ من المركز- لتتشكل في عالم المادة. يتطلب بلوغ مرتبة "الحكيم الكامل" سنواتٍ طويلةً من الجهد، لكنه في نهاية المطاف يصير سيداً للأمور؛ إذ تنكشف له الحقائق الغيبية، وتتلاشى من أمامه الألغاز والمعجزات إلى الأبد. يصبح بوسعه توجيه القوى في هذا الاتجاه أو ذاك، لتحقيق نتائج مرغوبة. كما تصبح الخصائص الكيميائية أو الكهربائية أو الطاقية (الأودية) الكامنة في النباتات والأعشاب والجذور والمعادن وأنسجة الكائنات الحية معلومةً لديه؛ فلا يفوتُه أيُّ تغيّرٍ يطرأ على الاهتزازات الأثيرية.

---

141 **"الغورو: هو معلم روحي؛ معلم في العقائد الميتافيزيقية والأخلاقية؛ وتُستخدم الكلمة أيضاً للإشارة إلى معلّم في أيّ علم من العلوم". *المسرد الثيوصوفي، 1892.**

142 **"شيلا: تلميذ؛ مريد لـ "غورو" (معلّم روحي) أو حكيم، أو تابع لأحد الحكماء (المتنوّرين)، أو لمدرسة فلسفية". ه. ب. بلافاتسكي، مفتاح الثيوصوفيا. طبعة عام 1890، ص 324.**

"إن الوسائل التي نستعين بها موضحة لنا جميعاً في دستورٍ قديمٍ قِدَمَ البشرية، ومفصّلةٌ حتى أدقّ تفاصيلها. فقوانيننا ثابتةٌ لا تتغير، تماماً كقوانين الطبيعة. ونحن نبني فلسفتنا [الغيبية/الباطنية] على التجربة والاستنتاج». المعلّم كوت هومي، «رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت» (الطبعة المرتّبة زمنياً)، الرسالة 90، ص 284-285.

تأتي لحظة في حياة المريد، تُكافأ فيها الصعاب التي مرّ بها بأضعافٍ مضاعفة. فلكي يكتسب المزيد من المعرفة، لم يعد بحاجة إلى الخوض في عمليةٍ دقيقة وبطيئة من البحث والمقارنة بين مختلف الأشياء؛ بل يُمنح بصيرةً فوريةً وضمنيةً لكل حقيقةٍ جوهرية. إن المريد يرى ويشعر ويعيش في صميم المصدر الذي تنبع منه كل الحقائق الأساسية، ألا وهو "الجوهر الروحي الكوني للطبيعة". المعلم "كوت هومي"، من كتاب "رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت" (الطبعة المرتبة زمنياً)، الرسالة 17، ص 55.

"إن الـ "تشانغ-تشوب"[143] (وهو حكيم تحرر، بفضل قوة معرفته واستنارة روحه، من لعنة التقمص اللاواعي) يستطيع، بمحض إرادته ورغبته -وبدلاً من الاكتفاء بالتقمص بعد الموت الجسدي- أن يتقمص أجساداً ثانية، بل ويكرر ذلك مراراً وتكراراً أثناء حياته إذا شاء. وهو يمتلك القدرة على اختيار أجسادٍ جديدة لنفسه -سواء على هذا الكوكب أو على أي كوكبٍ آخر- مع احتفاظه في الوقت ذاته بهيئته القديمة، التي غالباً ما

---

[143] Tchang-chub.

يبقي عليها لخدمة أغراضٍ خاصة به". المعلم كوت هومي، «رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت» (الطبعة المرتبة زمنياً)، الرسالة 20، ص 75.

عندما بلغ بوذا العظيم - راعي جميع الحكماء، والمُصلح، وواضع نظام العلوم الغيبية - مرحلة "النيرفانا"[144] الأولى وهو على الأرض، صار "روحاً كوكبية"[145] أي أصبحت روحه قادرة، في آنٍ واحد، على التجوال في الفضاءات بين النجوم بكامل وعيها، مع استمرار وجودها على الأرض -حسب مشيئتها- في جسدها الأصلي الخاص. فقد تحررت "الذات الإلهية" من المادة تحرراً تاماً، لدرجة أنها باتت قادرة على خلق "بديلٍ داخلي" لنفسها متى شاءت، وتركه في هيئةٍ بشرية لأيام أو أسابيع أو حتى سنوات، دون أن يؤثر هذا التغيير بأي حالٍ من الأحوال على المبدأ الحيوي أو العقل المادي لذلك الجسد. تلك هي أسمى درجات التمكن والسيطرة التي يمكن للإنسان أن يطمح إليها على كوكبنا؛ وهي نادرةٌ كندرة البوذات أنفسهم. فكثيرون هم أولئك الذين "يكسرون قشرة البيضة"، لكن قلةً منهم فقط -بعد خروجهم- يمتلكون

---

[144] "النيرفانا": وفقاً للمستشرقين، هي "الانطفاء" - كأنطفاء لهب شمعة - أي الزوال المطلق للوجود. أما في التفسيرات الباطنية، فهي حالة الوجود المطلق والوعي المطلق؛ وهي الحالة التي تؤول إليها "الأنا" لدى الإنسان الذي بلغ أقصى درجات الكمال والقداسة خلال حياته، وذلك بعد موت الجسد، أو - في حالات استثنائية، كما حدث مع غوتاما بوذا وآخرين - حتى أثناء حياته. إتش. بي. بلافاتسكي، "المسرد الثيوصوفي" 1892.

[145] Planetary Spirit.

القدرة على ممارسة "نيرفانا-ماستاكا بكامل إمكاناتها، وهم في حالة تحررٍ تامٍ من الجسد. إن الحياة الواعية في الروح صعبةٌ بالنسبة لبعض الطبائع، تماماً كما أن السباحة صعبةٌ بالنسبة لبعض الأجساد. وبإمكان "الروح الكوكبية" من هذا النوع (أي تلك التي تضاهي البوذا) أن تنتقل بمحض إرادتها إلى أجسادٍ ثانية -مكوّنةٍ من مادةٍ أكثر أو أقل أثيريةً- لتستوطن مناطق ثانية من الكون. المعلم "كوت هومي" من كتاب "رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت" الطبعة المرتبة زمنياً، الرسالة 18، ص 62.

"على حد علمنا، ووفقاً لما توصلت إليه أسمى الأرواح الكوكبية، لا يتجلى العقل اللانهائي أمامهم - تماماً كما هو الحال بالنسبة لنا - سوى في هيئة نبضات منتظمة وغير واعية، تنبع من النبض الأزلي والشامل للطبيعة، وتتردد عبر عوالم لا حصر لها، سواء داخل الحجاب الأولي لنظامنا الشمسي أو خارجه".

"حتى الآن - نحن نعلم. ففي نطاق ما يمكن بلوغه، وإلى أقصى حد ممكن، وصولاً إلى حافة الحجاب الكوني، ندرك صحة هذه الحقيقة استناداً إلى تجربة شخصية؛ أما المعلومات التي جُمعت حول ما يحدث فيما وراء ذلك، فنحن مدينون بها للأرواح الكوكبية، ولمعلمنا المبارك بوذا". المعلم كوت هومي، «رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت» (الطبعة المرتبة زمنياً)، الرسالة 90، ص 279.

لا يملك الإنسان العادي أي خبرة بأي حالة من حالات الوعي، سوى تلك التي تربطه بها حواسه المادية. فالإنسان يحلم، كما

يغرق في نوم عميق للغاية، بحيث يعجز الحلم عن ترك أثر في الدماغ المادي؛ ومع ذلك، لا بد من وجود وعيٍ ما في كلتا الحالتين. فكيف لنا إذن - في ظل بقاء هذه الألغاز دون استكشاف - أن نأمل في تقديم تكهناتٍ ذات جدوى حول طبيعة عوالم ثانية، يفترض بها - وفقاً لنظام الطبيعة - أن ترتبط بحالاتٍ من الوعي تختلف تماماً عن أي حالةٍ يختبرها الإنسان في حياته هنا؟

"حتى كبار الحكماء (أي أولئك الذين تلقوا المسارارة)، ورغم كونهم بصراء متمرسين، لا يمكنهم الادعاء بمعرفة تامة لطبيعة وهيئة الكواكب وسكانها إلا في نطاق نظامنا الشمسي. فهم يدركون أن جميع العوالم الكوكبية تقريباً مأهولة، لكن لا يتسنى لهم الوصول - حتى على المستوى الروحي - إلا إلى تلك التي تنتمي لنظامنا؛ كما يدركون مدى الصعوبة، حتى بالنسبة لهم، في تحقيق تواصل تام مع مستويات الوعي الموجودة ضمن نظامنا، والتي تختلف عن حالات الوعي الممكنة على كوكبنا؛ أي تلك المستويات الواقعة في نطاق سلسلة الأجرام التي تتجاوز أرضنا. إن مثل هذه المعرفة وهذا التواصل متاحان لهم لأنهم تعلموا كيفية النفاذ إلى مستويات من الوعي تظل محجوبة عن إدراك البشر العاديين".
بلافاتسكي، "العقيدة السرية" 1888 المجلد الثاني، ص701.

الملحق 6

المعلم موريا عن التركيز والاتحاد بالذات العليا[146]

ركِّز على فكرة «الذات العليا»؛ ابدأ بتخصيص نصف ساعة لهذا الغرض، ولا تسمح لأي فكرة ثانية بالدخول إلى ذهنك. ومع مرور الوقت، ستتمكن من توحيد وعيك مع هذه الذات العليا. إن الذات العليا تُطلب دائماً في الداخل؛ أما البحث عنها في الخارج فهو خطأ فادح.

يتمثل الجهد المطلوب في بلوغ أسمى حالة يمكنك الوصول إليها، والحفاظ على وجودك فيها. وتحدث عملية إدراك هذا

---

[146] ظهر جزء من النص الوارد في الملحق السادس لأول مرة في مقال كتبته جاسبر نيماند (وهو اسم مستعار للسيدة جوليا التي كانت تصدر في نيويورك- في -كيتلي)، ونُشر في مجلة «الدرب" عدد يوليو 1889، الصفحتان 102-103. وقد استهلت السيدة كيتلي النص بالعبارات التالية: «...دعونا نقرأ بعض الملاحظات الصادرة عن أحد الحكماء الشرقيين والتي وصلت إلينا منذ عدة أشهر». وتوجد نسخة أكثر تفصيلاً مدونة في الصفحات الأخيرة من مذكرات ويليام كوان جودج الخاصة بشهري نوفمبر وديسمبر من عام 1888، والمحفوظة ضمن أرشيف الجمعية الثيوصوفية (في باسادينا، كاليفورنيا). كما توجد نسخ ثانية متعددة، من بينها نسخة كانت تخص السيدة أليس كليثر؛ حيث تحمل النسخة الموجودة ضمن أوراقها عنوان: "من ورقة ملاحظات مُستقاة من رسالة لأحد المعلمين". أما النص المعروض هنا في الملحق السادس، فقد جرى تجميعه واختصاره وتحريره بالاستناد إلى هذه النسخ المختلفة التي تتضمن تعليقات "المعلم كوت هومي"..

المستوى الأعلى في اللحظة الأخيرة من رحلة العودة إلى العالم المادي؛ وهذا الأمر، مقترناً بحقيقة أن "القرين" (أو "الذات المزدوجة") غالباً ما يكون نشطاً، يؤدي في كثير من الأحيان إلى حالة من "الوعي المزدوج"، وهي بدورها مصدرٌ للوقوع في الخطأ.

عند اكتساب القدرة على التركيز، تكون الخطوة الأولى هي الوصول إلى حالة من الخلو الذهني. ثم يظهر الوعي تدريجياً، ومع الوقت، يصبح الانتقال بين هاتين الحالتين سريعاً وسلساً للغاية، لدرجة أنه يكاد لا يُلحظ.

تكمن الصعوبة الكبرى التي ينبغي التغلب عليها في تسجيل معارف «الذات العليا» على المستوى المادي. ولتحقيق ذلك، يجب جعل الدماغ المادي صفحةً بيضاء تماماً، لا تشغلها سوى «الوعي الأعلى»؛ كما ينبغي شلُّ «القرين» (أو الجسم النوراني)، وإلا فإن النتيجة ستكون الوقوع في الخطأ والارتباك.

في المقام الأول، حاول أن تضع نفسك في حالةٍ لا تشعر فيها بأي شيء يطرأ على جسدك المادي؛ أي أن تفصل ذاتك عن جسدك. وإذا شعرت، أثناء هذه المحاولة، بأي شيء - كأي تأثيرٍ خارجي يتسرب إليك من الخارج – فقم بإنهاء حالة التركيز هذه على الفور.

أفضل وسيلة تتبعها هي التركيز على «المعلّم» باعتباره إنساناً حيّاً في داخلك. اجعل صورته في قلبك محوراً لتركيزك، بحيث

تتلاشى لديك كلُّ أحاسيس الوجود الجسدي في غمرة هذا الفكر الواحد.

أثناء التركيز، ينبغي للمرء أن يجعل نفسه في حالة إيجابية - أي في حالة مقاومة - قدر الإمكان تجاه الأطياف وجميع التأثيرات النجمية الدنيا، بينما ينبغي أن يكون في حالة سلبية - أي في حالة تقبّلية - قدر الإمكان تجاه تأثير المعلّم.

ستكون فكرة "المعلّم" خيرَ وسيلةٍ للحماية من الأشباح وما شابهها. وتُعدّ هذه التجربة أكثر خطورةً على ذوي القدرات النفسية (الوسطاء الأرواحيين) مقارنةً بغيرهم؛ نظراً لأن أجسادهم أكثر حساسيةً بكثير، مما يجعلها تجذب قوىً طبيعيةً ثانية متنوعة.

تعمل الأشباح والتأثيرات النورانية (النجمية) من خلال الإنسان المادي على "الجسم النجمي أو النوراني". وهذا الجسم النجمي هو الجوهر الخفي[147] للجسم المادي، لكنه يفتقر إلى الذكاء أو الوعي في غياب الأخير. فحواسه هي الجواهر الخفية للحواس المادية، ومشاعره هي ذاتها مشاعر الجسم المادي.

يُعدُّ الشعور بالحرية إحدى السمات البارزة للوعي الأسمى، كما أن الجهد الإرادي المطلوب لإسكات الجسد يشبه إلى حد كبير

---

[147] **Noumenon.**

ذلك الجهد اللازم لتناسي الألم. ولا يمرُّ شخصان بالتجربة ذاتها في سعيهما لتحقيق الاتحاد مع الذات العليا.

إن "الذات العليا" الحقيقية هي "المحارب" المشار إليه في كتاب "نور على الدرب"[148] وهي لا تعمل أبداً في هذا المستوى، حيث يكون "الماناس"[149] هو العامل النشط، أي الفاعل الحقيقي.

إن هذا الاتحاد مع "الذات العليا" هو الوسيلة المثلى للقضاء على "شعور الانفصال"؛ ولذا، ينبغي على الإنسان أن يصير خادماً لهذه الذات العليا.

فالذات العليا بلا هيئة، ولا جنس لها، ولا شكل. إنها حالة من حالات الوعي، أشبه بنفَسٍ، وليست جسداً أو شكلاً.

أسمى هذه الأشكال هو "مايافي روبا"[150] الذي يشتمل على الإنسان بكامله باستثناء الجسد المادي والحياة. ويتخذ هذا الشكل هيئة الجسد المادي، ما لم يطرأ عليه تعديل بفعل الإرادة.

---

[148] **Light on the Path.**
[149] **Manas.**
[150] **Mayavi Rupa.**

أما "الذات العليا" فهي المربع الكامل: "ماناس" أو "مايافي روبا"- مضافاً إليه "بودهي" و "آتما" وهي عناصر تشكّل معاً مرآةً ينعكس فيها "بارابراهمان"[151] أي "الذات الواحدة".

والذات العليا هي شرارة من "الروح الكونية" (أتما-بودهي)؛ وهي روح كونية أزلية، لكنها تفتقر إلى الإدراك الحسي على هذا المستوى من الوجود. أما "الأنا العليا"[152] فهو "ماناس".

عندما يرتفع إلى آتما -بودهي، يكتمل الثالوث الذي هو الواحد. ماناس هو الوعي الذاتي. وهو محدود في ماهامانفانتارا واحدة ينتقل بودهي من ماهامانفانتارا[153] إلى ماهامانفانتارا ثانية.

"مايافي روبا"[154] هي الذات الوسطى، وهي الجسد الذي يستخدمه الحكماء حيث تتخذ من "كاما روبا" وسيلةً لها. إنها النفس البشرية، وموطن العواطف، والمشاعر، والأفكار. وحين تكون داخل الجسد، فإنها تُعرف بـ "ماناس". وتُعد المبادئ السبعة جوانبَ لكيانٍ واحدٍ بعينه؛ فهي تمثل الشكل والطابع الذي يتم اتخاذه بناءً على الإرادة.

ماناس هو الملاك الساقط وهو الحوهر المنفوث من قبل "المانـاسا بوترا"[155] أي تلك الكائنات التي تشكّل بمجموعها

---

[151] Parabrahman.
[152] The Higher Ego.
[153] Mahamanvantara.
[154] Mayavi Rupa.
[155] Manasa Putras.

ماهات[156] آو «اللوغوس المتجلّي"[157]. أما «المونـاد"[158] أو "آتما-بودهي" فهو في حقيقته لا ينتمي إلى هذا المستوى من الوجود على الإطلاق، بل يمكن القول إنه ينتمي إلى مرتبة "البارابراهما"[159].

وعليه، ففي هذا المستوى، يُعدُّ "المـاناس" أسمى مبدأ في الإنسان، وهو الذي يجعل من الإنسان إما "إلهاً" أو "شيطاناً"، وذلك بناءً على كيفية عمل «المونـاد الإلـهي" في هذا المستوى من خلال «المـاناس»، أو بناءً على الآثار التي يُحدثها «المـاناس» في هذا المستوى عبر تأثيره في القوة الحياتية الإلهية الكامنة في الجزء الأدنى من «البودهي".

أما "الحكماء" فهم الذين يولدون وهم يحملون في داخلهم "نيرماناكايا"[160].

ليخلق كلٌّ منكم لنفسه "معلِّماً". امنحوه وجوداً ملموساً ومستقلاً أمامكم في "النور النجمي". فإن كان معلِّماً حقيقياً، فسيُسمِعكم صوته؛ وإن لم يكن كذلك، فسيكون ذلك الصوتُ هو صوتَ "الذات العليا". سيحصل كل فرد على ما يتناسب مع استحقاقاته الداخلية وتطوره الذاتي.

---

[156] Mahat.
[157] Logos.
[158] Monad.
[159] Parabrahma.
[160] Nirmanakaya.

الملحق 7

مجموعات رسائل من المعلمين

رسائل المهاتما إلى إيه. بي. سينيت، من المهاتما "موريا" و"كوت هومي"، مرتبةً وفق تسلسلها الزمني. نُسخت بواسطة إيه. تي. باركر، مع تعليقات بقلم فيرجينيا هانسون، وتحرير وتنسيق فيسنتي هاو تشين الابن. أديار، تشيناي، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1998.

التعاليم المبكرة للمعلمين، 1881-1883. جمع وتحرير سي. جيناراجاداسا. أديار، مدراس، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1923.

رسائل من معلمي الحكمة، 1881-1888.

السلسلة الأولى (المجلد الأول). جمع وتحرير: سي. جيناراجاداسا. أديار، مدراس، الهند؛ دار النشر الثيوصوفية، 1919. [تحتوي الطبعات اللاحقة من هذا المجلد الأول على رسائل إضافية من المعلمين].

رسائل من أساتذة الحكمة. السلسلة الثانية (المجلد الثاني). جمع وتحرير: سي. جيناراجاداسا. أديار، مدراس، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1925.

رسائل من أساتذة الحكمة. السلسلة الثانية (المجلد الثاني). جمع وتحرير: سي. جيناراجاداسا. أديار، مدراس، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1925.

"السيدة هولواي والمهاتما".جمع وتحرير: دانييل إتش. كالدويل. توسون، أريزونا: مركز دراسات بلافاتسكي، 2012. [يحتوي الكتاب على رسائل أصلية لـ «المعلمين» (المهاتما) تم اكتشافها حديثاً، مع ما يقرب من 50 صفحة من النسخ المصورة الملونة بالكامل. كما يتضمن نسخاً لثلاث رسائل كتبتها إتش. بي. بلافاتسكي، لم يسبق نشرها من قبل].

مقدمات وإرشادات دراسية

عبديل، إدوارد. «أسياد الحكمة: المهاتما، ورسائلهم، والدرب». نيويورك: جيريمي بي. تارتشر/بينغوين، 2015.

باربوركا، جيفري. «المهاتما ورسائلهم». أديار، مدراس، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1973.

بيتشي، كاثرين (إعداد). «تأملات يومية: مقتطفات من رسائل أسياد الحكمة». أديار، مدراس، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1949.

بلافاتسكي، «المعلمون والمريدون: مقالات بقلم ه. ب. بلافاتسكي». لوس أنجلوس، كاليفورنيا: الجمعية الثيوصوفية. دون تاريخ.

كالدويل، دانيال إتش. (محرر). *سجل حالات اللقاءات مع "المهاتما" الثيوصوفيين. توسان، أريزونا: مركز دراسات .بلافاتسكي / أرشيفات بلافاتسكي، 2020.

كالدويل، دانيال إتش. (إعداد وتحرير). *العالم الباطني للسيدة بلافاتسكي: رؤى حول حياة "أبو الهول" العصر الحديث. ويتون، إلينوي: دار "كويست بوكس" دار النشر الثيوصوفية، 2000.

كاريثيرز، والتر إيه. (الابن). *السيدة بلافاتسكي: دفاعٌ عنها في مواجهة هجوم هودجسون-كولومب. فريسنو، كاليفورنيا: مؤسسة بلافاتسكي، 2017.

آرثينغ، جيفري أ. (إعداد وتحرير): *عندما نموت: وصف كما وردت على] *لحالة ما بعد الموت والعمليات المرتبطة بها سان دييغو، في "رسائل المهاتما ".لسان "المعلم ك. هـ 1994. كاليفورنيا: منشورات بوينت لوما.

هانسون، فيرجينيا: *المعلمون والبشر: القصة الإنسانية في "رسائل المهاتما"*. ويتون، إلينوي: دار النشر الثيوصوفية 1980.

هانسون، فيرجينيا: *مقدمة في "رسائل المهاتما"*. ويتون، إلينوي: دار النشر الثيوصوفية، 2007. الطبعة الثالثة.

هاريسون، فيرنون. "إتش. بي. بلافاتسكي وجمعية الأبحاث النفسية (S.P.R.): دراسة لتقرير هودجسون الصادر عام 1885". باسادينا، كاليفورنيا: دار نشر جامعة الثيوصوفية 1997يتضمن نسخاً ملونة كاملة لصفحات مختارة مكتوبة بخط يد "المهاتما".

نيف، ماري ك. «إخوة» مدام بلافاتسكي.

أديار، مدراس، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1932.

أودغرين، فيونا سي. (إعداد). رؤى من المعلّمين: مجموعة مختارة. وينشستر، المملكة المتحدة: دار نشر "أكسيس موندي بوكس" 1915.

فارما، إس. إس. تعاليم حول التلمذة: كما وردت في "رسائل المهاتما".

أديار، مدراس، الهند: دار النشر الثيوصوفية، 1995.

Suggested Reading about the Mahatmas and Their Letters [161].

Collections of Letters from the Masters

The Mahatma Letters to A. P. Sinnett from the Mahatmas M. & K.H. in Chronological Sequence. Transcribed by A. T. Barker. Commentary by Virginia Hanson. Arranged and edited by Vicente Hao Chin, Jr. Adyar, Chennai, India: The Theosophical Publishing House, 1998.

The Early Teachings of the Masters, 1881-1883. Compiled and edited by C. Jinarajadasa. Adyar, Madras, India: The Theosophical Publishing House, 1923.

Letters from the Masters of the Wisdom, 1881-1888. First Series (Volume I). Compiled and edited by C. Jinarajadasa. Adyar, Madras, India; The Theosophical Publishing House, 1919. [Later

---

[161] بما أن المراجع هي باللغة الإنكليزية، فمن الأفضل أن نوردها بلغتها الأصلية الإنكليزية لتسهيل بحث القارئ عنها، وكذلك ترجمتها للعربية. المترجم.

editions of this Volume I contain additional letters from the Masters].

Letters from the Masters of the Wisdom. Second Series (Volume II). Compiled and edited by C. Jinarajadasa. Adyar, Madras, India: The Theosophical Publishing House, 1925.

Mrs. Holloway and the Mahatmas. Compiled and edited by Daniel H. Caldwell. Tucson, Arizona: Blavatsky Study Center, 2012. [Contains newly discovered original letters of the Masters with almost 50 pages of full colored reproductions. Also includes reproductions of 3 never before published letters of H.P.B].

Introductions and Study Guides

Abdill, Edward. Masters of Wisdom: The Mahatmas, Their Letters, and the Path. New York: Jeremy P. Tarcher/Penguin, 2015.

Barborka, Geoffrey. The Mahatmas and Their Letters. Adyar, Madras, India: Theosophical Publishing House, 1973.

Beechey, Katherine, compiler. Daily Meditations: Extracts from Letters of the Masters of the Wisdom. Adyar, Madras, India: The Theosophical Publishing House, 1949.

Blavatsky, H.P. Teachers and Disciples: Articles by H.P. Blavatsky. Los Angeles, California: The Theosophy Company, n.d.

Caldwell, Daniel H., ed. A Casebook of Encounters with the Theosophical Mahatmas. Tucson, Arizona: The Blavatsky Study Center/The Blavatsky Archives, 2020.

Caldwell, Daniel H., comp. & ed. The Esoteric World of Madame Blavatsky: Insights into the Life of a Modern Sphinx. Wheaton, Illinois: Quest Books, The Theosophical Publishing House, 2000.

Carrithers, Walter A., Jr. Madame Blavatsky : The Case for Her Defense Against the Hodgson-Coulomb Attack. Fresno, California: Blavatsky Foundation, 2017.

Farthing, Geoffrey A., comp. & ed. When We Die: A Description of the After-Death State and Processes [as given by Master K.H. in The Mahatma Letters]. San Diego, California : Point Loma Publications, 1994.

Hanson, Virginia. Masters and Men : The Human Story in The Mahatma Letters. Wheaton, Illinois : The Theosophical Publishing House, 1980.

Hanson, Virginia. An Introduction to The Mahatma Letters. Wheaton, Illinois :

Theosophical Publishing House, 2007. 3rd edition.

Harrison, Vernon. H.P. Blavatsky and the S.P.R.: An Examination of the Hodgson Report of 1885. Pasadena, California : Theosophical University Press, 1997. [Contains full colored reproductions of selected pages in the handwriting of the Mahatmas].

Jinarajadasa, C. Did Madame Blavatsky Forge the Mahatma Letters ? Adyar, Madras, India: The Theosophical Publishing House, 1934.

Linton, George E. and Hanson, Virginia. Readers' Guide to The Mahatma Letters to A.P. Sinnett. 2 nd Revised Edition. Adyar, Madras, India: The Theosophical Publishing House, 1988.

Mills, Joy. Reflections on an Ageless Wisdom : A Commentary on "The Mahatma

Letters to A.P. Sinnett." Wheaton, Illinois : Theosophical Publishing House, 2010.

Neff, Mary K. The "Brothers" of Madame Blavatsky. Adyar, Madras, India: Theosophical Publishing House, 1932.

Odgren, Fiona C., comp. Insights from the Masters : A Compilation. Winchester, UK: Axis Mundi Books, 2015.

Varma, S.S. Teachings on Discipleship: As Outlined in The Mahatma Letters. Adyar, Madras, India: The Theosophical Publishing House, 1995.

توطئة.....3
مقدمة.....6
الفصل الأول.....8
وجود مهاتما الهيمالايا.....8
الفصل الثاني.....25
رحلاتي لرؤية المهاتما.....25
الفصل الثالث.....39
لقاءاتي مع المعلم موريا.....39
الفصل الرابع.....51
معرفتي الشخصية بالمهاتما كوت هومي.....51
الفصل الخامس.....56
المهاتما كوت هومي في أحلامي ورؤاي.....56
الفصل السادس.....66
تجاربي مع المهاتما.....66
الفصل السابع.....74
الذكريات الشخصية عن بلافاتسكي ومعلميها.....74
الملحق 1.....91
مدام بلافاتسكي تتحدث عن المهاتما.....91
الملحق 2.....99
أين كان ذلك «الوادي في التبت»؟.....99

الملحق 3..... 106
صور المهاتما..... 106
الملحق 4..... 113
السيدة بلافاتسكي والمهاتما..... 113
الجزء الأول..... 113
الجزء الثاني..... 130
الملحق 5..... 137
حكماء، ومعلمين، ومهاتما..... 137
معرفتهم بالحقائق الروحية..... 137
الملحق 6..... 151
المعلم موريا عن التركيز والاتحاد بالذات العليا..... 151
الملحق 7..... 157
مجموعات رسائل من المعلمين..... 157
مقدمات وإرشادات دراسية..... 159
Suggested Reading about the Mahatmas and Their Letters 162
Collections of Letters from the Masters..... 162
Introductions and Study Guides..... 164